الموسم الثقافي الحادي عشر

لمجمع اللغة العربية الأردني

السبت ١٨ شوال ١٤١٣هـ ـ السبت ١٦ ذو القعدة ١٤١٣هـ
١٠ نيسان ١٩٩٣م ـ ٨ أيار ١٩٩٣ م

من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني
١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م

مكتبة ... ردني
الرقم المتسلسل ١٢٠٩٤
رقم التصنيف
التاريخ ٩٥/٤/١٣

الطبعة الأولى
عمان ـ الأردن
١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م

حقوق الطبع محفوظة لمجمع اللغة العربية الأردني
ويمنع تصوير هذا الكتاب أو إعادة طبعه دون إذن المجمع

الفهرس

المقدمـــة ٧

المحاضرة الأولى: ١١

دور اللغة العربية في توحيد الأمة العربية ونهضتها

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

المحاضرة الثانية: ٢٩

دور المصطلحات العلمية التراثية في عملية التعريب المعاصرة

الأستاذ الدكتور محمد السويسي

النـــدوة: ٥١

اللغة العربية في الجامعات الأردنية واقعاً وطموحاً

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ٥٣

كلمة الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت ٥٩

كلمة الأستاذ الدكتور سعد حجازي ٦٧

كلمة الأستاذ الدكتور بشير الخضرا ٧٧

المقدمة

يقيم مجمع اللغة العربية الأردني موسماً ثقافياً كل عام حرصاً منه على المساهمة الفاعلة في الحركة الثقافية داخل ا لأردن وخارجه، ومعالجة كثير من القضايا التي تتعلق باللغة العربية وتيسير تعليمها وتعزيز مكانتها، لغة للتدريس الجامعي والبحث العلمي. ويدعو للمشاركة في هذا الموسم نخبة من مختلف الأقطار العربية الشقيقة ومن الأردن.

وهذا الكتاب هو كتاب الموسم الثقافي الحادي عشر الذي أقامه مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٩٣م، وابتدأ يوم السبت الثامن عشر من شوال ١٤١٣هـ الموافق العاشر من نيسان ١٩٩٣م، واستمر إلى يوم السبت السادس عشر من ذي القعدة ١٤١٣هـ، الموافق الثامن من أيار ١٩٩٣م، وكان محوره الرئيسي يدور حول موضوع «دور اللغة العربية في بناء المجتمع العربي ونهضة الأمة العربية».

وتألف من أربع محاضرات وندوة واحدة على النحو التالي:

* المحاضرة الأولى: الساعة الخامسة من مساء السبت الثامن عشر من شوال ١٤١٣هـ، العاشر من نيسان ١٩٩٣م، للأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري عضو مجمع اللغة العربية الأردني وعنوانها «دور اللغة العربية في توحيد الأمة العربية ونهضتها».

* المحاضرة الثانية: الساعة الخامسة من مساء السبت الخامس والعشرين من شوال ١٤١٣هـ، السابع عشر من نيسان ١٩٩٣م، للأستاذ الدكتور محمد السويسي من تونس وعنوانها «دور المصطلحات العلمية التراثية في عملية التعريب المعاصرة».

* المحاضرة الثالثة: الساعة الخامسة من مساء السبت الثاني من ذي القعدة ١٤١٣هـ، الرابع والعشرين من نيسان ١٩٩٣م، للأستاذ أبو الحسن الندوي وعنوانها «دور اللغة العربية في العصر الحديث في تحديد هوية الأمة الإسلامية».

* وكانت الندوة في الساعة الخامسة من مساء الأحد العاشر من ذي القعدة ١٤١٣هـ الثاني من أيار ١٩٩٣م، أدارها الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، رئيس المجمع، وشارك فيها: الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت، رئيس جامعة آل البيت، والأستاذ الدكتور سعد حجازي من جامعة العلوم والتكنولوجيا، والأستاذ الدكتور بشير الخضرا عميد كلية الاقتصاد في جامعة اليرموك، وعنوانها:

«اللغة العربية في الجامعات الأردنية، واقعاً وطموحاً».

* وكانت المحاضرة الرابعة في الساعة الخامسة من مساء السبت السادس عشر من ذي القعدة ١٤١٣هـ، الثامن من أيار ١٩٩٣م، للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل من جامعة الموصل في العراق وعنوانها: «دور اللغة العربية المتجدد في تشكيل الفكر العربي الإسلامي».

وقد حالت ظروف قاهرة دون مشاركة المحاضرين الكريمين الأستاذ أبي الحسن الندوي والدكتور عماد الدين خليل في هذا الموسم.

ويعتبر المجمع أن اللغة العربية، تكوّن جوهر وجود الأمة العربية وتحدد هويتها. وهي العامل الأساسي في وحدتها ونهضتها. ولا يمكن لأمتنا العربية أن تبدع إلا من خلال استعادة اللغة العربية سيادتها في أوطانها، واستئنافها دورها التاريخي بأن تكون لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي. ومن هنا فإن المجمع يولي قضية نقل العلم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية اهتماماً كبيراً، لأنه يؤمن بأن تحقيق هذا الهدف النبيل واجب قومي وضرورة حضارية من أجل المشاركة الفاعلة والمبدعة في بناء الحضارة العالمية الحديثة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التعليم باللغة العربية يؤدي إلى تأصيل حاضر الأمة العربية في جذورها الحضارية، وجعلها أكثر قدرة على فهم الحاضر ورؤية المستقبل. وإن الأمة التي لا ماضي لها لا يمكن أن يقوم حاضرها على قواعد إنسانية عريقة، فالماضي أساس الحاضر وتشوّف للمستقبل. فقد كان لأمتنا ماضيها المجيد أفاضت منه على العالم أجمع زمناً طويلاً، يوم كانت العربية لغة العلم والحضارة.

والمجمع يتطلع بكل ثقة وأمل إلى اليوم القريب ـ إن شاء الله ـ الذي تكون فيه اللغة العربية الفصيحة لغة العلم والتقنيات الحديثة، والبحث العلمي في جامعاتنا العربية ومؤسساتنا العلمية.

ويود المجمع أن يتقدم بالشكر للأساتذة الباحثين الذين تعاونوا معه في هذا الموسم الثقافي، وللجمهور الكريم الذي أغنى هذا الموسم بحضوره وبمشاركته في النقاش من أجل إغناء موضوعات البحث، وإشاعة الوعي بأهمية الحفاظ على هوية الأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحديات الكبيرة في الوقت الحاضر، سواء في مواجهة التحديات العلمية والتقنية والسياسية والحضارية والإعلامية أو في موا جهة تحديات الثقافات والقيم الأجنبية ومحاولة إقصاء العربية عن سيادتها في أوطانها.

ويتوجه المجمع بالشكر إلى أجهزة الإعلام الأردني ووسائله المختلفة: وكالة الأنباء

الأردنية (بترا)، والتلفـاز الأردني، والإذاعة، والصحافـة الأردنية: لتعـاونها الكريم مع المجمع في هذا الموسم، لإظهـار أخباره وتـوصيلها إلى جمهورنـا العربي في داخل الأردن وخارجه.

رئيس المجمع

الدكتور عبدالكريم خليفة

المحاضرة الأولى

دور اللغة العربية في توحيد الأمة العربية و نهضتها

الأستاذ الدكتور: عبدالعزيز الدوري

عضو المجمع

السبت ١٨ شوال ١٤١٣هـ - ١٠ نيسان ١٩٩٣م

الحديث عن دور العربية في توحيد الأمة العربية ونهضتها يتطلب النظر إلى تكوين هذه الأمة في التاريخ، ودور اللغة في ذلك، ومفهوم المفكرين لأسس توحيد الأمة ومكان اللغة فيها.

كما يتطلب ملاحظة مدى صمود اللغة في وجه التحديات التي هددت وحدة الأمة، هذا إلى ملاحظة دورها في النهضة.

وهذه موضوعات واسعة طالما تناولتُها، ولا أجد مناصاً من الإيجاز ومن تكرار آراء ومعلومات سبق أن أوردتها وآمل أن يكون فيها بعض الجديد.

أبيّن ابتداء أنّ الأمة تكونت في التاريخ عبر تطور طويل، وأنها لم تظهر بصورة عفوية أو مفاجئة.

وهناك عوامل متعددة تساهم في تكوين الأمة وتوحيدها، فالموقع الجغرافي له دوره، والبيئة الجغرافية، من أرض ومياه ومناخ لها تأثيرها، والمصالح الاقتصادية لها مجالها، واللغة والثقافة لها أهميتها.

وحين نتحدث عن اللغة لن نستطيع الافتراض أنها كانت دائماً واحدة، بل الفرضية الأقرب أنها كانت لها أصول أولية عامة، تتمثل في لغات أو لهجات، ثم تكونت لغة أدبية مشتركة مع الزمن، صارت لغة الشعر العربي واللغة العربية من أقدم اللغات العروبية وأنقاها. وترجع بدايات المعرفة عنها إلى ما يتجاوز الألفي سنة ق.م. ولن نسأل: هل اللغة نُسبت إلى القوم الذين تحدثوا بها كما نُسبت البلاد في شبه الجزيرة إلى سكانها أو أن الذين تحدثوا بهذه اللغة نسبوا إليها. فنسبة اللغة إلى القوم تجعل الأنساب، حقيقة أو وهماً، أساس الأمة، ونسبة القوم إلى اللغة تجعل أساس الأمة ثقافياً وتعطي اللغة الدور الأساسي في تكوين الأمة وتوحيدها.

والاتجاه أن الجزيرة العربية عموماً كان فيها منطقتان لغويتان: ا لشمال والجنوب، وفي الوقت نفسه نسمع بوجود لغات (لهجات) في الشمال.

ولدينا كتابات عربية من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ونلاحظ تداخل لغات الشمال والجنوب حتى تعم لغة الشمال في الجنوب. ونقوش قرية الفاو (جنوب غرب الرياض) تشير إلى تداخل لغات الشمال والجنوب فيها في القرن الثاني قبل الميلاد. ومعجم اللغة السبائية الذي أنجز حديثاً يشير إلى أنها عربية في عموم محتواها.

ولعل البعض يقرن الخط العربي الحالي زمنياً بالعربية، والواقع أنه آخر الخطوط التي استعملتها العربية بدءاً بالقرن السادس الميلادي، وهو سرياني الأصل، بينما

الخطوط العربية موجودة قبل ذلك: لحيانية، وثمودية، وسبائية، إلاّ أن مكة اختارت هذا الخط ليعم ويصبح الخط العربي.

وقد وصلتنا قصيدة بالمسند منذ القرن الأول للميلاد، وهي بتركيبها، وقافيتها، تشعر أن الشعر العربي قام قبل ظهور الإسلام بقرون لا بحوالي قرن ونصف كما هو شائع.

ويلاحظ مع ظهور اللغة الأدبية بقاء لهجا ت القبائل أو لغاتها وإن كانت جميعاً تنطوي على أصول عامة واحدة.

ونزل القرآن الكريم بالعربيّة، وكان ذلك انطلاقة كبرى للعربيّة، كما كان حاسماً في حفظها وتطورها. القرآن الكريم أكسب العربية حرمة، وأغناها بمصطلحات ومفاهيم جديدة، ووسع أفقها.

إن التنزيل جعل العربية اللغة الأم في الإسلام، ووعاء ثقافته الجديدة، ومستودع مفاهيمه وقيمه، ولغة تراثه. كما أنه هيّأ مجال فهمها عبر التاريخ، وبالتالي اتصال الثقافة بهذه اللغة.

واللغة تنمو وتزدهر بتقدم أصحابها في الثقافة والحضارة، كما تكون اللغة عوناً على النهضة. بدأت الدراسات العربية والإسلامية بهذه اللغة، واستمرت كذلك في فترة التكوين. وصارت العربية لغة الإدارة، ثم كانت حركة الترجمة والاتصال بالثقافات الأخرى منذ القرن الثاني الهجري، مما أغناها بالأخذ والإضافة و صارت العربية لغة الحضارة عامة.

ثم إن الحركة الإسلامية وحدت العرب ابتداء في دولة واحدة وانهت الصراع التاريخي بين البدو والحضر، وجمعتهم في حركة الجهاد تحت راية الإسلام.

والعربية خرجت مع الفاتحين، فاستقرت بالتالي في أقاليم اتخذتها لغتها، ولم تستقر في أخرى. بعض هذه البلاد استعاض سكانهاعن العربية بإحياء ما بلي من لهجاتهم، وفي أخرى بقيت العربية لغة العلم فحسب.

أدى الفتح إلى بثّ روح من القوة في صميم العربية وإلى توحيد (لغات) لهجات البدو أنفسهم. فلم تكن لهجات القبائل البدوية في الجزيرة كبيرة الاختلاف حتى بين القبائل المتباعدة بالسكن.

وكان لسياسة عمر أثر في وحدة اللغة وإنشاء لسان مشترك بين القبائل البدوية. فقد أسكن العرب في مراكز أو معسكرات خيام حيث أقامت قبائل متعددة في جوار قريب

فنشأت لغة بدوية (فصيحة) مشتركة وضعت الأساس للعربية الفصحى في القرون المتأخرة.

وقبل الإسلام كان هناك شعور بوجود عناصر نسب مشتركة بين العشائر والقبائل، بل وظهرت نظرة ترى في النسب أساس الانتماء للعرب، فكانت العناية بالأنساب لذلك كبيرة، وهذا يعني تمييز الصليبة (العرب الأصل) عن الموالي والأحلاف.

ولكن النسب لم يكن جا مداً، والحلف قد يؤدي مع الزمن إلى الدخول في النسب، أي يتجاوز مسألة المصلحة والالتزامات المتبادلة.

وهناك القبائل، الشعوب اليمانية، حيث كانت للقبيلة أرضها الزراعية وقد تستخدم جماعات من قبائل أخرى أو من غير العرب في أراضيها موالي مقابل شيء من الحاصل. وهذا قد يؤدي إلى التداخل في النسب.

وفي الإسلام مؤثرات جديدة، فالحياة السياسية والتكتلات إلى قيس/ يمن مضر/ الأزد....إلخ أدّت إلى التأثير على النسب، بتحولات من يمن إلى مضر وبالعكس حسب المصلحة والظروف السياسية، ولاحظت كتب الأنساب ذلك (البلاذري، عن قضاعة). وكان الموالي يسجلون في الديوان مع قبائلهم وقد يُنسى الأصل ويدخل الشخص في نسب القبيلة.

والولاء بذاته قد يعني ابتداء تعلم العربية، والتعرف إلى المفاهيم والنظرة العربية، والدخول في الحياة العربية. كل هذا يعني التعريب.

والإسلام يوجب تعلم العربية، وأثره كبير في نشرها. والموقف يتراوح بين التعلم لضرورات العقيدة والصلاة، وبين المشاركة في الحياة العلمية وبخاصة للموالي الشخصيين.

بعد هذا يلاحظ نوع من التصنيف على أساس جغرافي: بين عرب الجنوب وعرب الشمال، أو بشري: بين عدنان وقحطان، أو حضاري، بين: غالبية مستقرة (جنوب) وأخرى بدوية أو شبه مستقرة (وسط وشمال/ عدنان).

ولكن لا بد أن تداخلت الخطوط بين عرب اليمن وعرب الشمال بالهجرات. هجرات يمانية إلى الشمال بسبب تغير الظروف والأوضاع (الأوس والخزرج/ الأزد، قضاعة....إلخ). أو شمالية إلى الجنوب ـ وهي أقل (سبأ إلى اليمن).

وربما ساعد هذا على تأثر لغة هؤلاء العرب باللغات المحلية لا سيما القريبة من العربية، وأطلقت عليهم تسمية العرب المستعربة.

ولعل هذا يتصل بتأكيد انقسام العرب إلى حضر (عرب) وبدو (أعراب) وربما كانت هذه الحالة وراء شيء من العصبية في القرن الأول الهجري بين القارين في الأمصار والقادمين الجدد.

كل هذا يدل على وجود فجوات مبكرة في النسب كرابطة، ويشير إلى مجالات للغة في تكوين الأمة (لاحظ ابن خلدون أن ا لتداخل في الأنساب يحصل بطرق مختلفة: بالحلف، والولاء، والالتحاق أو الادعاء بقرابة).

استعمل القرآن لفظ «عربي» نسبة إلى اللغة «قُرْآناً عَرَبِيّاً...» (الزمر: ٢٨) «وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ» (النحل: ١٠٣) ولم ترد أية إشارة نسبة إلى العرب.

وفي الحديث الشريف ورد تعبير «عربي» (لا فضل لعربي)، ويبدو أنه للغة أيضاً، لأن ا لمقابل (أعجمي)، أي لغةً مقابلة للعربية.

وفي الحديث الشريف أيضاً: «ليست العربية منكم بأب ولا أم إنما العربية اللسان». وهذا تأكيد واضح على أن اللغة رابطة. وفي هذا توجيه جديد نحو أساس الانتماء للعرب، اللغة مقابل النسب عند القبائل.

هنا نجد التقابل بين المفهوم القبلي، وهو مفهوم قديم ثابت، وبين المفهوم الإسلامي المتوسع للغة.

وفي الفترة الأموية صراع بين المفهومين: مفهوم الانتساب للعرب بالنَسَب ومفهوم الانتساب للعرب باللغة. والمفهوم القبلي يزيد في تأكيد النسب بإضافة أن العربي الصريح لغته العربية ولادة لا اكتساباً لوضع قيد إضافي على الانتساب باللغة، يقول عمار الجلبي ـ ياقوت ج٥/٢٦:

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طبعوا

وكأن هذا خط جديد ولكنه في الواقع تسليم بأهمية اللغة كرابطة.

من جهة ثانية ظهر في الواقع ترابط بين العربية والإسلام، أو اقتران في الأذهان، من هنا قول المولى ـ مولى هشام ـ:

إنْ كانت العربية لساناً، فقد نطقنا بها، وإنْ كانت ديناً فقد دخلنا فيه.

ويبين الشافعي (٢٠٤هـ) أن العربية لسان العرب، «فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها» (الرسالة رقم ١٧٣/ص٥١)، ولذا «فعلى كل مسلم أن يتعلم لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد بـه أنْ لا إله إلاّ الله ويتلو به كتاب الله»

(رقم ١٦٧/ص٤٨).

ويقول ابن تيمية (٧٢٨/١٣٢٨) «وأيضاً فإنّ الله لمّا أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلاّ بضبط هذا اللسان وصارت معرفته من الدين» (اقتضاء الصراط ص١٤٦).

ولاحظ ابن خلدون (٨٠٨هـ) أن انتشار الإسلام يفضي إلى انتشار العربية، وزاد على ذلك أثر السلطان العربي في انتشار العربية. يقول «فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب» (المقدمة، وافي ١/٢١٧). ونتج عن ذلك في فترة ما أن «هجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك، وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أقطارهم».

ويتحدث عن علوم اللسان العربي ويضيف «ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة، إذ تؤخذ الأحكام كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب، ونَقَلَتُها من الصحابة والتابعين عرب، وشَرْحُ مشكلاتِها من لغاتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة» (المقدمة، وافي ٣/١٢٦٤).

المهم أن اتخاذ العربية رابطة أو نسباً للعرب يعني توسع العرب عن طريق التعريب.

وينتظر مع تراجع القبلية بعد مجيء العباسيين، ومع تطور الحياة الحضرية في المدن، ومع استعلاء المفاهيم الإسلامية أنْ تقوى فكرة اللغة أساساً في العروبة.

وهناك مفهوم آخر جاء به الإسلام وهو مفهوم الأمة، الذي كانت وجهته ابتداءً، وكما ورد في الصحيفة التي وضعها الرسول في المدينة، الجماعة التي تربطها العقيدة ـ الأمة الإسلامية ـ. ولكن ترد معانٍ أخرى للأمة منها الجماعة التي تربطها رابطة خاصة أخرى، ومنها اللغة. وهذا مؤشر لما صار عليه الشائع في استعمال «الأمة العربية»، في حين حل تعبير «المِلّة» للجماعة الدينية. (قال ياقوت ج١٦ص٩٥) قال ثابت بن قرة: «ما أحسد هذه الأمة العربية إلاّ على ثلاثة أنفس»، «ولسنا نجهل مع ذلك فضل غير هؤلاء من السلف الطاهر والخلف الصالح» وبعد أن يورد قوله يضيف: «ولكن عجبنا فضل عجب من رجل ليس منا ولا من أهل ملتنا ولغتنا يقول هذا القول... ويحسد أمتنا بهذا الحسد».

وابن منظور يقول: «أمة الرجل قومه» كما أنّ «كل جيل من الناس أمة على حدة».

إن مفهوم العروبة المستند إلى النسب يلائم مجتمعاً وحداته القبائل (كما لاحظ ابن

خلدون). ولكن التطور الحضري والفكري، وانحسار المفاهيم القبلية، وتغلغل المفاهيم الإسلامية في المجتمعات العربية، واتساع التعريب، وقيام تيارات مناهضة للعربية، وتراجع دَوْر الأنساب ـ كلها أدت إلى أن تنحسر القبلية في الحياة العامة وأن يبرز مفهوم الأمة العربية على أساس ثقافي، الأمة التي ترى العربية أساس الانتساب إليها دون نظر إلى الأصول البشرية.

وإذا كانت العربية قاعدة الانتماء فإن الثقافة العربية الإسلامية وتراثها تمثل محتوى هذا الانتماء.

وإذا حصل هذا التطور تاريخياً، خلال ما يزيد على قرنين، منذ ظهور الإسلام، فينتظر أن يتمثل في فكر الأدباء والمؤرخين والمفكرين... وهذا ما نراه من القرن الثالث (الشافعي والجاحظ) حتى القرن التاسع/ الخامس عشر (ابن خلدون). فهم يرون العربية أساس النسبة إلى العرب، ومع أنهم يرون للبيئة أثراً وللنسب دوراً في بعض الأحيان إلاّ أن الرابطة الثابتة هي العربية (تذكر الشيم والسجايا، وهي ذات صلة بالثقافة).

وهذا يعني أن تكون الأمة العربية اعتمدت ولدرجة كبيرة على التعريب. فالهوية العربية ثقافية وليست عنصرية، وقد استمرت هذه النظرة في التراث والوعي العربي حتى العصر الحديث.

فالشافعي يرى أنه إذا كانت العربية لسان العرب فهي أساس النسبة إليهم «ومن تعلم العربية دخل في العرب» (الرسالة ص٤٤).

والجاحظ يرى أن إسماعيل أبا العرب الشماليين ولد لأبوين أعجميين. ولكنه لمّا نشأ بين العرب (جرهم) «فتق الله لهاته بالعربية المبينة دون تلقين، وفطره على الفصاحة دون تنشئة وحباه من طبائع العرب ومنحه من أخلاقهم وشمائلهم أكرمها وأعلاها فصار بذلك أحق بالعروبة من النسب».

ويعتبر المسعودي العربية الرابطة الأولى بين العرب، واستعمل كلمة «أمة» للعرب على أساس بشري.

وبيّن ابن منظور في اللسان (٧١١/ ١٣١٤) أنّ العربية (في الإسلام) أساس النسبة للعرب. وهو يعرّف المستعربة بأنهم «عندي قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحكوا حياتهم وليسوا بصرحاء فيهم». (مادة: عرب).

أما ابن تيمية (٧٢٨/١٣٢٨) فيشير إلى الحديث «إن العربية ليست لأحدكم بأب

ولا أم، إنما هي لسان. فمن تكلم بالعربية فهو عربي» (اقتضاء، ص١٥٢) واللسان عند ابن تيمية «تقاربه أمور أخرى من العلوم والأخلاق» فهو يشمل الثقافة، «إن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً» (ن.م١٤٧) وهو يتوسع في رأيه ليؤكد دور العربية، فيبين:

أنه لما جاء الإسلام وانتشر العرب في دار الإسلام من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب «انقسمت هذه البلاد إلى قسمين: منها ما غلب على أهله لسان العرب، حتى لا تعرف عامتهم غيره، أو يعرفونه وغيره، مع ما دخل على لسان العرب من اللحن. وهذه غالب مساكن الشام والعراق ومصر والأندلس ونحو ذلك. وأظن فارس وخراسان كانت هكذا قديماً. ومنها ما العجمة كثيرة فيهم أو غالبة عليهم كبلاد الترك وخراسان وأرمينية وأذربيجان ونحو ذلك» (١٤٤ـ١٥٠). «فهذه البقاع انقسمت إلى ما هو عربي ابتداءً وما هو عربي انتقالاً إلى ما هو عجمي» (ص١٥٠).

وهكذا فبعد أن كانت الدار والنسب واللغة عنده مقومات العرب قبل الإسلام صارت اللغة أساس العروبة بعد الإسلام عنده.

وتستقر المفاهيم عند ابن خلدون. فهو ينظر إلى الروابط حسب التطور التاريخي، ويلاحظ أن النسب رابطة أساسية بالنسبة إلى جيل البدو «لأن النسب قاعدة العصبية» (المقدمة ١/١٠٨، ١١٠) «ولكنه يختلط في الحواضر بل ويتعرض للجهل والخفاء» (ن.م ٢/٢٧ـ٢٨).

وهو يرى العربية رابطة شاملة للأمة، فيرجع لفظ عرب ابتداء إلى اللغة العربية ويقرنها بالبيان (ن.م ٢/٥، ٩) والإفصاح.

وهو في تصنيفه العرب إلى أجيال أو طبقات في التاريخ يستند أصلاً إلى اللغة العربية. «فالعرب العاربة سموا بذلك لرسوخهم في العربية» (ن.م ٢/٩). ومع إشارته إلى قرابة في النسب بين العاربة والمستعربة «من حمير وكهلان وأعقابهم من التبابعة ـ قحطان» (ن.م ٢/٤٦ـ٤٧) إلاّ أنه يرى العربية الأساس في النسبة. ويسمي أولاد إسماعيل «العرب التابعة للعرب» على أساس تعرب إسماعيل (ن.م٢/١١). وأخيراً يسمي عرب عصره (العرب المستعجمة) لما تعرضت له العربية من فساد نتيجة الاختلاط بالأعاجم «لمّا كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المضري الذي نزل به القرآن» (تاريخ ابن خلدون ٢/٢٦).

واللغة عنده ليست مفردات وحسب بل ثقافة تقترن بها الخصائص والسمات.

والعربية بعد هذا لغة تتمتع باستمرارية لحوالي الألف والخمسمئة عام بشكل فعّال

ولَما يبلغ ضعف في ذلك إذا رجعنا للجذور.

هذا ولم نتطرق إلى جانب آخر للتعريب. فالتعريب لا يعني نشر العربية فحسب بل نقل كلمات من لغات البلاد ومصطلحاتها والحضارات التي اتصلت بها إلى العربية بتعديل لفظها أو بإيجاد مقابلات لها، مما عزز قوة العربية ووسع نطاقها. فهذا التعريب يشكل ظاهرة واضحة في القرنين الثاني والثالث للهجرة والقرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد، وليس هذا محل التوسع فيه، ويكفي أن نبين أنه أظهر قدرة العربية على استيعاب المفردات والمصطلحات الأجنبية عن طريق الترجمة أو عن طريق الاتصال بالثقافات والشعوب الأخرى.

ولنرجع للتطور التاريخي لنرى أثره في رسم نطاق البلاد العربية كما نرى ذلك لدى الجغرافيين ــ ونكتفي هنا باثنين منهم اليعقوبي (الربع الثالث للقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) أول الجغرافيين العرب، والمقدسي (الربع الثالث للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) شيخهم.

فاليعقوبي يقتصر على ذكر القبائل والجماعات العربية في قطر ما، دون أن يضفي عليه صفة العروبة، مثل قوله «وفي جميع مدن خراسان قوم من العرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن إلاّ باشروسنة»... (ص٢٩٤). ومثل قوله عن حماة: وأهل هذه المدينة قوم من يمن والأغلب عليهم بهراء وتنوخ وتدمر وأهلها كلب (٣٢٤) ودمشق والأغلب عليها أهل اليمن، وبها قوم من قيس ومنازل بني أمية. و«الظاهر ومدينتها عمان، والغور ومدينتها أريحا، وهاتان المدينتان أرض البلقاء وأهلها قوم من قيس وبها جماعة من قريش (٣٢٦)» «وأهل جند فلسطين أخلاط من العرب من لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة» (٣٢٩).

وهو يذكر القبائل العربية عادة ولا يشير إلى بقية السكان. مثلا (العريش) «ويسكن العريش قوم من جذام وغيرهم» ويقول في الفسطاط «واختطت قبائل العرب في المواضع المنسوبة إلى كل قبيلة» (ص٣٣٠) يقول «وجعل (عمرو) لكل قبيلة محرساً وعريفاً» (٣٣١).

ولكنه حين يأتي إلى المغرب يشير إلى البربر والعرب وغيرهم، يقول: «... ثم يصير في عمل لوبية... ثم الرمادة وهي أول منازل البربر يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم القُدُم، وبها قوم من العرب من بلي وجهينة وبني مدلج وأخلاط».

ويأتي إلى برقة ويقول «ولبرقة جبلان أحدهما يقال له الشرقي فيه قوم من العرب من الأزد ولخم وجذام وصدف وغيرهم من أهل اليمن، والآخر يقال له الغربي فيه قوم

من غسان وقوم من جذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب وقرى بطون البربر من لوامة من زكورة ومفرطة ونارة... ولبرقة من المدن برنيق على سا حل البحر المالح... وأهلها قوم من أبناء الروم القُدُم ا لذين كانوا أهلها قديماً، وقوم من البربر... إلخ». (البلدان ص٣٤٢ـ٣٦٢).

ولكنه يلاحظ تاثر بعض قبائل البربر بالعرب واتخاذهم أنساباً عربية. يقول مثلاً «وبطون لوامة يقولون إنهم من ولد لوامة بن بتر بن قيس عيلان، وبعضهم يقول إنهم من لخم كان أولهم من أهل الشام فنقلوا إلى هذه الديار» (ن.م/ ٣٤٤). ويقول «وتزعم هوارة أنهم قوم من اليمن جهلوا أنسابهم، وبطون هوارة يتناسبون كما تتناسب العرب... ومنازل هوارة من آخر عمل سرت إلى أطرابلس» (ن.م/٣٤٦). ويستمر في إشاراته إلى العرب إلى بلاد الزاب، وهي عشر مراحل من القيروان. ويبين أن مدينة الزاب العظمى (طُبنة) وهي التي ينزلها الولاة وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر وغيرهم (ن.م/٣٤٨). ويشير إلى عرب في بعض مدن الزاب مثل مقرّة أهلها قوم من ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر.

وبعد عمل الزاب لا إشارة إلى قبائل عربية بل إلى قبائل بربرية (ص٣٥٢ وما بعدها).

وحين نصل إلى المقدسي (ت٣٨٧هـ) فإنه يتحدث عن أقاليم العرب وأقاليم العجم في دار الإسلام وينبه بصورة خاصة إلى اللغة، وكانه يرى في شيوع اللغة أساساً للعروبة أو العجمة.

وهو يدخل الجزيرة العربية والعراق والشام والجزيرة الفراتية ومصر وبلاد «المغرب» في الأقاليم العربية. وهو بذلك يحدد نطاق الأمة العربية من ناحية أرضية/ جغرافية.

أما أقاليم العجم فأولها المشرق (دولة آل سامان في خراسان وما وراء النهر، ثم الديلم ـ مناطق بحر قزوين، ثم الرحاب، ثم الجبال ثم خوزستان، ثم كرمان).

وحين يتحدث عن جزيرة العرب (يذكر أنها تشمل الحجاز كلها واليمن بأسرها وبلد سبأ والأحقاف واليمامة والأشحار وهجر وعمان... وحجر صالح وديار عاد وثمود... وديار كندة وجبل طيّ... وجبل سينا ومدين وشعيب (أحسن التقاسيم ص٦٧) وهو ينوّه باللغة ويقول «أهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلاّ بصحار فإن نداهم وكلامهم بالفارسية «ويتوسع في اللغة» وأكثر أهل عدن وجدّة فرس إلاّ أن اللغة عربية... «وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة، إلاّ أن أصح (لغة) بها لغة هذيل

ثم النجدين ثم بقية الحجاز إلاّ الأحقاف فإن لسانهم وحش».

ويتحدث عن إقليم العراق ويقول «والقراءات السبع المستعملة في الإقليم... ولغاتهم مختلفة أصحها الكوفية لقربهم من البادية وبُعدهم عن النبط». ويتحدث عن إقليم آقور (أو الجزيرة الفراتية)، فيقول: «وقد قسمنا هذا الإقليم على بطون العرب لتعرف ديارهم وتميزها، وجعلناه ثلاث كور على عدد بطونهم أولها من قبل العراق ديار ربيعة ثم ديار مضر ثم ديار بكر»، (ص١٣٧).

وعروبة الشام بديهية عنده.

ويأتي إلى إقليم مصر ويبيّن أن ألسنتهم عربية غير أنها ركيكة رخوة، وذمتهم (يقصد النصارى) يتحدثون القبطية» (ص٢٠٣).

ويتحدث عن المغرب «ويشمل برقة، ثم إفريقية، ثم تاهرت، ثم سجلماسة، ثم فاس ثم السوس الأقصى ثم جزيرة صقلية ثم الأندلس».

ويبدأ باللغة «ولغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم، ولهم لسان آخر يقارب الرومي».

ولكنه يلاحظ أن وضع البوادي مختلف «والغالب على بوادي هذا الإقليم البربر، أكثرهم بكورة السوس، وهم قوم على عمل الخوارزمية لا يفهم لسانهم ولا ترضى طباعهم مع خسّة وشدة».

ويختم المقدسي حديثه عن الأقاليم العربية بذكر بادية العرب ويقول «اعلم أنها بادية واسعة كثيرة العرب... (وهم) يقطعون الطريق ويؤوون الغريب ويهدون الضال ويخفرون القوافل» (ص٢٥٢).

وهو يضع خوزستان (أو الأهواز قديماً) بين أقاليم العرب ويلاحظ أنهم «كثيراً ما يمزجون فارسيتهم بالعربية... وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حين ينتقلون إلى العربية، وإذا تكلموا بأحد اللسانين ظننت أنهم لا يحسنون الآخر (ص٤١٨). ويروي حديثاً عن أبي هريرة، «قال رسول الله ﷺ: أبغض الكلام إلى الله الفارسية. وكلام الشياطين الخوزية، وكلام أهل النار البخارية، وكلام أهل الجنة العربية». (ص٤١٨).

ويرى ابن خلدون صلة بين انتشار العربية وسيادتها وبين انتشار الإسلام وتوسع السلطان العربي، وهو بالتالي يلاحظ الانتشار الواسع للعربية في الفترات الأولى في الأمصار الإسلامية في المشرق والمغرب ـ إلى بلاد مثل إيران وخراسان، وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم وسيادة اللسان العربي.

ثم يلاحظ تراجع اللسان العربي بعد تملك العجم من الديلم والسلجوقية بالمشرق، وزناتة والبربر بالمغرب، مما أدّى إلى أن فسد اللسان العربي. ولكنه لا يخشى أن تزول العربية بسبب عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين (المقدمة ج٢ص٩٠٠ وما بعدها). وبلغ فساد اللغة أقصاه بعد أن ملك التتر والمغول ولم يكونوا على دين الإسلام. يقول ابن خلدون: «وربما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر والشام والأندلس والمغرب لبقاء الدين طلباً لها، فانحفظت بعض الشيء. وأما في ممالك العراق وما وراء النهر فلم يبق أثر لها ولا عين حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي» (ج٢ص٩٠٣-٩٠٤).

وابن خلدون بهذا التحليل يشعرنا بالبلاد التي ثبتت فيها العربية فاستقرت عروبتها، والبلاد التي لم ترسخ فيها العربية وسادت فيها لغة/ لغات أخرى (العراق العجمي - ما وراء النهر) وكاد بذلك أن يرسم نطاق العروبة أو البلاد العربية.

وتستمر مفاهيم العروبة في الشعر عند شعراء مثل الأبيوردي وصفي الدين الحلي، مقرونة بالسجايا أو بالمآثر ومتصلة باللغة، وفي النثر كما في عريضة علماء العرب إلى الصدر الأعظم وإلى شيخ الإسلام (١٥١١/١٧٣٨) والتي تقارن بين موقف كل من العرب والعجم تجاه الطرف الآخر في سلطانه. والأساس في التمييز اللغة.

ويمكن أن نلاحظ خطوات في النهضة، للغة دور محوري فيها، تتمثل في التطور الذي أدى إلى قيام لغة أدبية قبل الإسلام، ثم دورالعربية في النهوض بعلوم العربية والعلوم الإسلامية في فترة التكوين. ثم دور العربية في النهوض بمتطلبات الأخذ من الحضارات والثقافات الأخرى، في نطاق المؤسسات، وفي نطاق العلوم والفلسفة. وهي خطوة أخرى مهمة لنصل عصر الازدهار الثقافي في القرنين الثالث والرابع. وأخيراً دور العربية في النهضة الحديثة.

وفي العصر الحديث بدأ الوعي في البلاد العربية لغوياً - ثقافياً تمثل في إحياء التراث الفكري وفي العناية بالعربية وتجديدها.

وكان لمصر دور ريادي في تحديث العربية وإغنائها، وفي تطوير النثر والكتابة بأسلوب عربي حديث، وفي إحياء الشعر القديم وتجديده بدءاً بالبارودي، ثم التجديد في البحث اللغوي، والتأليف في علوم العربية، وفي إعداد مدرسين للعربية، وإنشاء دار العلوم.

وكانت الدعوة ابتداءً، كما عند الطهطاوي، إلى التيسير والبساطة في أسلوب الكتابة وتطويره، وإلى مهمة تطويع العربية للأفكار والتطورات الجديدة في حركة الترجمة،

وإلى إيجاد مقابلات عربية أو تعريب ما تحتاج إليه من مصطلحات.

ودعا محمد عبده إلى تطوير أسلوب الكتابة وإلى إصلاح أساليب العربية، وقام بتطوير أدب المقالة النقدية الإصلاحية، وقام بتجديد أسلوب الكتابة في الموضوعات الدينية.

واتجه الاهتمام إلى نشر كتب التراث وبخاصة أيام الخديوي إسماعيل، وقد تجاوز ما نشر منها الألفين في أواسط القرن.

وبدىء بوضع معاجم لخدمة العربية وأبنائها (مثل محيط المحيط للبستاني)، أو لحث العرب على حب لغتهم الشريفة (مثل الجاسوس على القاموس للشدياق).

وكانت العناية باللغة والأدب بدورها صدى لظاهرة أهم هي الاتجاه إلى إبراز مقومات الأمة العربية و إثبات هويتها أمام التحديات الخارجية.

وتتجلى ظاهرة الدفاع عن العربية في كتابات بعضهم (إضافة إلى وضع المعاجم). وأكدوا أن العربية تتسع لمتطلبات العلوم والحضارة كما فعل محمود شكري الآلوسي وجبر ضومط.

ولم يقتصر التأكيد على العربية على حركة الإصلاح الإسلامي بل ظهر في الحركة الوطنية. فالنديم يرى اللغة العربية دليل الهوية: «اللغة هي أنت، إن كنت لا تدري من أنت». ويرى أن «من سلم في لغته سلم وطنه ونفسه». وبيّن أن اللغة العربية أساس لاجتماع الكلمة ووحدة الرأي.

وكان للغزو الغربي، بأشكاله، أثره على اتجاه الوعي وتأكيد الهوية بالإسلام ثم العربية، كما في مصر وشمال إفريقية، أو بالتأكيد على العروبة المتصلة بالإسلام كما في المشرق العربي.

ومن هنا تأكيد المفكرين على العربية قاعدة موحدة. فالكواكبي يرى في العربية الرابطة الأولى بين العرب.

والزهراوي يرى العربية الجامعة للعرب «فللعرب اليوم جامعة عظيمة من لغة يشرّفها الدين والاجتماع».

ورفيق العظم يلاحظ أن العرب لم يبق لهم جامعة غير هذه اللغة.

وأكدت جمعية دمشق العربية (١٩٠٧) على العربية رابطة أساسية وقاعدة للنهضة.

وفي فترة سياسة التتريك التي انتهجتها جمعية الاتحاد والترقي، دار الحديث واسعاً في الصحف والكتابة عن أهمية اللغة العربية، فهي أساس الجنسية، وهي الرابطة والعهد، وهي لغة الإسلام الجامعة، وهي قاعدة النهضة.

وكانت خطة التتريك محور المواجهة بين العرب والأتراك بعد قرون من الارتباط.

يقول صلاح الدين القاسمي (١٩١٦) «ليس أدعى لإبادة حياة الأمة من السعي وراء إماتة لغتها»، كما يقول «وبقدر محافظة الأمم على لغتها وعنايتها بآدابها تزداد قوى جامعتهم صلابة».

وفي جريدة المفيد ــ التي اتخذت خط العروبة ـ يرى عبد الغني العريسي أن العربية قاعدة العروبة، وقد نزل القرآن بالعربية وثبّت ذلك. وأكد في مقالات أخرى أن العربية «وسيلة لجماع النهضة» وأن «حياة العرب بحياة لغتهم»، «وإذا اندرست اللغة زالت الهوية، وعفي على القوم».

ويبين عمر فاخوري (١٩١٣) أن الذي يحدد الجنسية هو اللغة. فباللغة تتكيف نظرة الإنسان وفق نظرة شعبية، وفيها يصبح ابن الشعب وارث مفكريه ومؤدبيه وقادته، وبها يتأثر بأدبيات الشعب (وتاريخه) التي تجعل الشعب «سواء في الشعور والعمل».

وهكذا تستمر النظرة إلى العربية قاعدة والتأكيد عليها رابطة الأمة الواحدة.

ويتبين أن النهضة الحديثة بدأت في إطار الإسلام، سلفياً أو إصلاحياً، والعربية. وفي الحالين كان التأكيد على إحياء العربية، والعناية بتراثها، ضرورة للنهضة وقاعدة للوحدة. ويلاحظ تلازم الإسلام والعربية في المشرق في القرن التاسع عشر وحتى العقد الثاني من القرن العشرين وذلك في الاتجاه العربي. وهما أساس الهوية في مواجهة الموجة الغربية، ثقافية، ثم سياسية وعسكرية.

ولعل سياسة الاتحاد والترقي في التتريك والعلمنة أدت إلى أن نرى وضوحاً أكبر في اتخاذ الإسلام والعربية اتجاهاً أكثر استقلالية لكل منهما.

ويلاحظ في الاتجاه العربي في عصر النهضة في المشرق التأكيد على العربية والتعريب، وتكرار الاتجاه بأن العربية هي أساس وحدة الأمة وقاعدتها المشتركة. كما يظهر ذلك لدى مجموعة المفكرين في خط العروبة.في المشرق العربي، العربية تقترن بالتعريب، ويبدو ذلك في أمرين:

١ ـ تطوير العربية، بالنسبة إلى العرب، نحو التبسيط والمرونة وتمكينها لتكون لغة

النـاس أو لغـة العصر في المدارس والأعمال والـدوائر، وتمكينهـا من التعبير عن الحاجات الجديدة.

٢ ـ الاتجاه إلى التخلص من الثنائية التي فرضت نفسها في النواحي العلمية والتقنية والفكرية. والغرض جعل اللغة تستوعب متطلبات العصر، علمية وأدبية وفنية.

والتعريب متمثلاً بـالنقطة الأولى كان لازماً للنهضة. ولكنـه صار، بسبب المحاولات لضرب العـربية أو طمسهـا عن طـريق التتريك أو الفرنجـة، وجهـاً للمقاومـة الوطنيـة وسبيلاً لمقاومة التغريب الثقافي.

العربية والتعريب في المشرق مسألة لغوية ثقـافية، وفيها بالتالي تأكيد الهوية. أما في المغرب العربي فالعربية والتعريب هما أولاً قضية هوية وقضية تحرر وطني في آن.

فالذات العربية تتمثل في الوحدة الفكـرية والثقافية للشعب في المغرب العربي ويدعم هذه الوحدة الإ سـلام واللغة العربية.

في المغرب العربي الإسلام يلازم العروبة ويمتزج بها ولا فصل .

والهجمـة الاستعماريـة في المغـرب لم تتجه إلى الاستغـلال الاقتصـادي والهيمنـة السيـاسية والاستراتيجيـة فحسب، ولكنهـا أرادت تكويـن شخصية مغـربيـة تابعـة، منقطعة الصلة بأصولها التاريخية أيضاً.

واللغـة الأجنبية في المغـرب العـربي لم تكن في عهد الاستعمار أداة تثقيف أو تنمية للمعرفـة، بل كانت وسيلة لمحو الشـخصيـة العربية الإسـلامية المغربية. وكـان مفكرو الاستعماريين يـؤكدون أن الإسـلام والعـربية ركيـزتا هـذه الشخصيـة، فحاولـوا أن يضربوا الإسلام بما سمي بالسياسة البربـرية في الجزائر والمغرب، وأن يهدموا العربية بإحلال الفرنسية والإسبانية محلها.

في المغـرب إذن كانت مسألـة العربيـة والتعـريب من صميم تأكيد الـذات العربيـة الإسلامية ومن صميم معركة التحرر للتخلص من التخلف ومن الاستعمار.

فالنضال الـوطني ضد الاستعمار اقترن بالنضال ضد الغـزو الفكري والتغريب في التعليم والإدارة والحياة العامة.

ولذا فالدافع الأهم للتعريب يتمثل في مواجهة اللغة الأجنبية المسيطرة وفي طلب العلم باللغة القومية (تعريب التعليم وإثبات الهوية والشخصية الوطنية).

في تونس يـؤكد مناصرو التعريـب أن اللغة وطن عقلي، وأن اللغة العربيـة قادرة على

استيعاب مهامها الحضارية وأنها قابلة للتطور ومواكبة العصر، وأن التعريب وجه من وجوه الاستقلال وتصفية الاستعمار.

وفي الجزائر ربط بومدين في قراره السياسي التعريب أول الأمر بالعقيدة الإسلامية وبالهوية الذاتية للشعب.

فالقضية ليست قضية لغة وحسب، والمقصود هنا هو ردّ الهجمة الثقافية الاستعمارية. القضية قبل كل شيء قضية سياسية على أساس أنها مطلب شعبي نابع من الانتماء الحضاري والإحساس بضرورة استرجاع الذات، وهي ثانياً قضية ثقافية اجتماعية.

ولذا فإن النضال الوطني ضد الاستعمار اقترن بالنضال ضد الغزو الفكري والتغريب في التعليم والإدارة والحياة العامة.

هكذا يتبين أن العربية في الماضي والحاضر كانت قاعدة الأمة ومحور الاستمرار فيها. نعم هناك مؤثر أو آخر في فترة أو أخرى مثل النسب، والبيئة، والأوضاع الاجتماعية والسياسية، ولكن الرابطة المستمرة هي اللغة.

والعربية حيث صارت اللغة الأم رسمت إطار الأمة العربية وحدودها، وحيث تراجعت العربية، تقلصت الأمة، أي أن تكوين الأُمَّة ووحدتها استندت في الأخير إلى قاعدة ثقافية. وهذا يبين أن وحدة الأمة لا ترتبط بالوحدة السياسية، ولذا تبقى فكرة الأمة حية بصرف النظر عن التجزئة.

وهنا تجدر ملاحظة الصلة العضوية بين الإسلام والعربية. فالعربية لغة الإسلام الأولى ولغة الثقافة التي تكونت في إطار الإسلام لقرون عدة، واستمرت اللغة الأساسية للعلوم الإسلامية.

إن العربية لغة التراث وقاعدة الهوية ومفاهيمها الرئيسة إسلامية.

والعربية بعد هي القوة الماثلة الفاعلة في اتجاه الوحدة العربية. وإن أي تخطيط باتجاه الوحدة يجب أن ينطلق من الاستناد إلى العربية والتعريب.

المحاضرة الثانية

دور المصطلحات العلمية التراثية في عملية التعريب المعاصرة

الأستاذ الدكتور: محمد السويسي

تونس

السبت ٢٥ شوال ١٤١٣هـ - ١٧ نيسان ١٩٩٣م

حضرات الزملاء العلماء الأفاضل الأجلاّء:

يقول أبو منصور الثعالبي في مقدمة كتابه «فقه اللغة» متحدثاً عن اللغة العربية: «قيّض الله لها حفظة وخزنة من خواصّ النّاس وأعيان الفضل وأنجم الأرض فنسوا في خدمتها الشهوات، وجابوا الفلوات، ونادموا في اقتنائها الدفاتر، وسا مروا القماطر والمحابر، وكدّوا في حصر لغاتها طباعهم وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم...»

إلى أن يقول: «وكلما بدت معارفها تتنكّر، أو كادت معالمها تتستّر، أو عرض لها ما يشبه الفترة، ردّ الله لها الكرّة، فأهبّ ريحها، ونفّق سوقها».

فهذا المجمع اللغوي الأردني يعيد لنا، مشكوراً، الدعوة مرّة أخرى، لتناول موضوع طالما ساهم فيه، مع سائر الهيئات الثقافية العربية، وأحكمناه بحثاً ونظراً ودرساً، وقدمنا في شأنه، دورة بعد دورة، توصيات مدقّقة محدّدة التزم بها الجميع... ولسبب أو لغيره أرجىء التطبيق وتأخر التنفيذ...

فألتمس المعذرة إن اضطررت في حديثي، إلى شيء من الإعادة، وأرجو أن يكون في بعض جوانبه ما يزيد في الإفادة...

****

حضرات الزملاء

إن اللغة العربية دمنا ولحمنا، بها يتم لذاتيتنا كيانها، ويكمل لهويتنا شخصها.

وقد حلت منا في الأفئدة وسرت محاسنها في الشرايين والأوردة

ورثناهن عن آباء صدقٍ ونورثها إذا متنا بنينا

هذا ومن حق الوارث أن يتصرف فيما ورث، ويتمتع بما زرع وحرث وهكذا يكون للآباء سبق الابتداء وللأبناء فضيلة الاقتداء. واللغة ملك للأمة جمعاء، قديمها وحاضرها ومستقبلها، كنز تقادم عهده، وا حتفظ به لوقت الحاجة حيث ينقل من حال الذخر إلى حال الذكر، وتنافست الأجيال في تنشيطه وإنمائه.

وهكذا يتراكم إنتاج الأمة طبقات متصلة متراصة لا نهاية لامتدادها، وهكذا ورثة بعد ورثة، تنمو ثروة الأمة حسب نظام دوماً تصاعدي...

ويوافق ذلك رأي القدامى من أن اللغة ليست كمّاً محدوداً من مفردات أزلية المولد أبدية البناء، دائمة الثبات، بل إنها كائن حيّ متطوّر يضعف ويقوى، وينقص ويزيد بضعف الفكر والوعي الحضاري وقوتهما، وبنقصان حجم المعرفة وحركة العلوم

وزيادتهما...

تولد مفردات اللغة، في ظرف من الظروف، إن صحّ القول، على سنّ قلم الكاتب أو على شفاه الشعب، ثم تنمو وتترعرع، مكونة من حولها أسرة مترابطة الأطراف يشدّ بعضها بعضاً... وقد يأتيها حين من الدّهر تفقد فيه ما كان لها من نشاط وحيوية، وتشيخ وتُهجَر وتموت: «على أنّ المهجور من المفردات، وما شاخ من العبارات، لا يكون هجره هجراً باتّاً ولا شيخوخته نهائية» فمن بين ما تراكم من هذه الآثار الثرية لا يمتنع أن يكون لبعض البقايا والرواسب من الصلاحية ما يمكنها من الرجوع إلى دورة الاستعمال، فلا السماع يمجّها ويجد فيها نفرة ولا القياس بها يختل «ويكون لما أعيد من المفردات للاستعمال، بعدما هجرت، مدلول واضح وضوحاً تلقائياً» (لتري: مقدمة معجمه)

فاللغة إذن مرآة دقيقة لواقع الأمة وحالتها الحضارية ومستواها العلمي.

يقول الكاتب الفرنسي ريفارول: «إنّ اللغة الثرية لم تكن قط لغة جاهل معوز». وحسب قول عالم اللسانيات دولاكروا: «اللغة كائن اجتماعي له تطوّره، تتطوّر اللغة على غرار المجتمع وتتحول وتتجدد، وتتخلى عما أكل عليه الدهر وشرب من العناصر البالية، وتثريها مقتنيات جديدة هي بحالتها الراهنة أليق...»

... وقديماً أنطقت لسان حال العربية بقولها: «أعطوني العلماء أعبّر لكم عمّا لم تنطق به الألسن من قبل»...

فكم كانت خيبة أملي حين شاهدت العرب، في كل الأقطار، يخوضون غمار البحث العلمي، ويوفقون فيه، بل يتفوقون، لكن مالوا عن لغتهم وأهليهم وآثروا أرض الغربة ولغة الغير، يحررون بها بنات أفكارهم ونتائج قرائحهم، فالعجمة يدعمون، والعربية يهزلون.. ولله في أمره شؤون!

على أن التاريخ يشبه نفسه، كما يشابه الماء الماء. ففي القرن السابع للهجرة ينقد ابن منظور القفصي الإفريقي أهل عصره ويقول في مقدمة معجمه البحر «لسان العرب»: «تنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية. فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغتهم يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون».

فكأنّ هذا القول ترديد إلى الوراء لصدى عصرنا الحاضر يعبر عن مدى ما هجر به أهل العربية لغتهم، وما يفخرون به من لوك اللسان بالأعجمية ينقنقون برطانتها، متنكرين لبيئتهم وذويهم، فما كانوا بذلك شرقيين ولا غربيين، بل هي الرياح تتلاعب

بهم عابثة، يميلون مع كل تيار دون ممانعة ولا مقاومة...

والجدير ملاحظته أن هذه الظاهرة ليست خاصة بالعربية وليست مما ينفرد به عصرنا الحاضر. بل تعرضت سائر اللغات في الماضي.... وما زالت تتعرض في الحاضر للمشكل عينه، وذهب فيه المفكرون كل مذهب... ومن ذلك ما تضمنته رسالة فينلون في القرن الثامن عشر الميلادي «حول مشاغل المجمع اللغوي الفرنسي» إذ تروي لنا مثلين من هذا الوضع: «الأول أن شيشرون الخطيب اللاتيني، رغم تزمته وحرصه على سلامة لغته، لم يتحرج من استعمال ما يحتاج إليه من المفردات اليونانية، معتبراً إياها في البداية، اعتباراً للدخيل المؤقت ثم سرعان ما ألبسها زيه القومي وجعلها في حوز أمته وتصرفها.

والثاني أن أمة الإنجليز لم تحرم نفسها من الاستحواذ على ما عنّ لها أن تستعمله من الألفاظ الأجنبية واعتبرت أن الكلمة ليست إلا اصطلاحاً على ما في الفؤاد ودليلاً، وأنها ملك للأمة التي تستعيرها بقدر ما هي للأمة المعيرة لها، فلا أهمية إذن لكون لفظ ولد ببلدة أو بغيرها من البلدان. وإنه لمن الأمور الصبيانية أن يعلق الأمر بكيفية لوك اللسان وتحريك الشفاه وقرع الهواء».

واليوم إننا نشاهد في دهشة ما تتخبط فيه من حيرة عوالم متقدمة قوية أمثال أوروبا والصين واليابان، في ميدان الترجمة قصد مواكبة النشاط العلمي والتقني الأميركي... فيدين الأستاذ Etiremble العلميين الفرنسيين، الحائزين لجائزة نوبل «بما يستعملون من رطانة فرنقلية، وما يستعملون من عجمة وبربرية تخدش الأذن وتؤذي العين وتجرح الروح» ويضيف قائلاً: «إن البلبلة البابلية العصرية تهدد بالزحف العارم على حقل العلم بأكمله».

فالأمثلة السابقة تشهد بأن المشكل الذي نطرحه اليوم من جديد مشكل مزمن، مستمر على مدى العصور واختلاف الأصقاع، متطور بتطور المجتمع.. وعالجه نقلة العلوم القديمة إلى العربية فوجدوا أنفسهم بين مصاعب من نوع المصاعب التي يلاقيها في هذا العصر المهتمون بنقل العلوم الحديثة... هذا مع وجود فروق جسيمة لا سبيل إلى جحدها: فالعرب، في عصرهم الذهبي، كانوا ينقلون العلوم والمعارف العامة من تراث محدود، ثابت، غير متطور. واليوم اتسعت دائرة العلوم، وتدفقت أمواج الطوفان العلمي المتزايد وتشعبت سبل العلم والحكمة، وتبدلت الأوضاع الاجتماعية، وتضاءل إتقاننا للعربية... وكل سنة يضاف إلى اللغات الغربية ما يناهز سبعة آلاف من المصطلحات الحديثة... فتحير الكتاب واختلفت المذاهب واشتبهت السبل وازدادت الفجوة اتساعاً والهوة عمقاً بين ما للعربية من إمكانيات ذاتية ومن وسائل للتعبير في الحاضر وبين ما

يجب أن تضطلع به للقيام برسالتها.

- فمن داع إلى نقل الألفاظ الاصطلاحية كما هي زاعماً أنها دولية ومدعياً أن العبرة بالتواضع والفهم مغرياً بأن في ذلك ربحاً للوقت.

- ومن متزمت رافض لكل جديد دخيل يدنس في اعتقاده نقاء اللغة.

فأي سبيل سنسلك وفي أي اتجاه سنتحرك؟

إنه قد يكون من المفيد أن نرجع البصر سريعاً إلى ما توخى العرب من أسلوب سابقاً علنا نأنس نوراً يهدينا إلى الصواب وأسوة حسنة نقتدي بها ولعل المصطلحات التراثية توحي لنا بالطرق المثلى في سبيل التعريب الحاضر.

وما دعوانا إلى النظر في خطى السلف من باب مجرد التعلق بالقديم لكونه قديماً... فما استعمل من طرق في الماضي قد يمكن فعلاً من إيجاد عقول نبيهة وأحلام فاضلة تواصل السير على الدرب... إلا أنه لا ينبغي تصنيم هذه الطرق، فما هي إلا صوىً على مسار الطريق من شأنها أن تنير السبيل وتهدي الساعي إلى السير السوي...

على أن المترجمين ـــ في المرحلة الأولى ـ كثيراً ما لم يهتدوا إلى أداء المعاني والمصطلحات القديمة أداءً كاملاً، ولم يبلغوا بلغتهم الإتقان من أول وهلة، ولم تبلغ كتابتهم لغة العلوم المثلى التي يراعى فيها ضبط العبارة ودقة التفكيروترتيب المقدمات حتى تؤدي إلى النتائج الصحيحة. وأما رأيهم في نقل المصطلحات فيلخصه أبو الريحان البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة) فيقول: «وأنا ذاكر من الأسماء والمواضعات في لغتهم (أي لغة الهنود) ما لا بد من ذكره مرة واحدة يوجبها التعريف، ثم إن كان مشتقاً يمكن تحويله في العربية إلى معناه لم أمل عنه إلى غيره، إلا أن يكون بالهندية أخف في الاستعمال، فنستعمله بعد غاية التوثقة منه في الكتبة».

ويضيف: «فعندي لكسيقون لزيج بطلميوس مكتوب ما فيه بالخط السرياني، ثم بعينه بالعربي، ثم تفسيره، وإليه أرجع في مطالبي».

ويجعل ضياء الدين بن البيطار، النباتي المالقي، الغرض السادس من كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) حسب قوله بنصه: «في أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات، مع أني لم أذكر فيه ترجمة دواء إلا وفيه منفعة مذكورة أو تجربة مشهورة» ويضيف: «وذكرت كثيراً منها بما يعرف به في الأماكن التي تنبت فيها الأدوية المسطورة، كالألفاظ البربرية واللاطينية، و هي أعجمية الأندلس... وقيدت ما

يجب تقييده منها بالضبط والشكل والنقط تقييداً يؤمن معه التصحيف، ويسلم قائله من التبديل والتحريف...»

وأما عن تأرجح لغة النقلة في البداية وعدم ثباتها فلنا عن ذلك أمثلة في لغة الخوارزمي إذ يستعير مصطلحه في الغالب من لغة التخاطب المتداولة بين الناس، فيلتصق المصطلح بالواقع المحسوس... وذلك كالمعين (الشكل الرباعي المشابه للعين) وكالشكل الناري للهرم الثلاثي المنتظم (المشابه لصورة اللهب)... بل إن الخوارزمي يعدد المفردات للمدلول الواحد ويترك للقارىء الخيار بنيها (وهذا ما أشرنا اليه من عدم الثبات والاستقرار للمصطلح المقترح)... فيستعمل لمفهوم الجمع ألفاظ: الجمع والضم والزيادة والإضافة والحملان، ولمفهوم الطرح ألفاظ: الطرح والنقصان والإلقاء والاستثناء والتفريق والعزل والنزع والإسقاط.

كما يلاحظ التأرجح أيضاً في تذكير المصطلحات وتأنيثها: المثلث والمثلثة والمربع والمربعة والمعينة والمدورة إلخ..

ومن أجل ذلك احتاجت الكتب المترجمة الأولى ــ في غالب الأحيان ـ إلى الاصلاح والتهذيب والتحرير، فنجد في عناوين الكتب الموالية: تحرير المناظر وتحرير مصادرات إقليدس والتنقيح والمناظر إلخ... وقام بالإصلاح الناقل الأول ذاته أو متعقب لعمله محرر لنقله، ومن ذلك أن الحجاج بن مطر نقل أصول إقليدس نقلين الهاروني وهو الأول والمأموني وهو الثاني والثاني أحسن وعليه المعول.

ومن ذلك أيضاً أن كتب حنين بن إسحاق في العلوم الرياضية بخلاف كتبه في الطب احتاجت إلى تهذيب «لأنه لم يكن قيماً بها» فتعقب ثابت بن قرة أعماله وأصلح نقله لإقليدس وللمجسطي وللمتوسطات بينهما.

ويروي حسن السندوبي عن الصّلاح الصفدي أنّه «كان للنقلة والتراجمة، في مدرسة بغداد، طريقان:

الأول: طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وفرقتهما وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى كل لفظة مفردة من الكلمات اليونانية أو غيرها من اللغات الأخرى، وما تدل عليه من معنى، فيأتون بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى، فيضعونها في مكانها، ثم ينتقلون إلى غيرها وهكذا حتى ينتهي نقل الكتاب على هذه الصورة. ولا شك أن هذه الطريقة عقيمة جداً، فترك فيها الكثيرمن الكلمات كما هي على عجمتها... هذا فضلاً على أن خواص التراكيب والنسب الإسنادية في أيّ لغةٍ كثيراً مالا تتفق مع ما

في أي لغة أخرى من هذه الخواص.

والثاني: طريق حنين بن إسحاق والعباس بن سعيد الجوهري وغيرهما ممن نحا نحوهما: وذلك أن يقرأ الناقل جملة الكلام فيحصل مفادها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة العربية بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها: وهذه الطريقة أجود من غيرها بلا مراء».

هذا وقبل أن نستعرض بالتفصيل أهم ما اعتمده نقلة العصر العباسي من منهاج ومبادىء فإننا نشترط في المترجم والناقل شرطين أساسيين:

١ ـ إنه من اللازم أن يحيط الناقل بدقة بمدلول اللفظ التقني الاصطلاحي الذي يريد نقله وأن يثبت حده المضبوط.

٢ ـ لا بد للناقل من معرفة اللغة العربية معرفة دقيقة ومن التمكن من خصائصها الذاتية ومن هياكلها العميقة ومن نحوها وصرفها والإحساس بما في صيغها من دقيق المعاني ولطيف الصور والاضطلاع مما يوفره الاستعمال فيها من ألوان الرموز والكنايات ومن تطبيقات مختلفة لمبدأ القياس.

وبعد هذا تجدر الإشارة إلى أنه أعيد النظر من جديد في العصر الحاضر في الطرق التي استعملها القدامى (من اشتقاق ومجاز ونحت وتعريب إلخ). وأقر الاستمرار على العمل بها إما كما هي أو بعد إدخال بعض التحوير عليها (توصيات مجمع القاهرة، المجلة ج أ ص٣٧)... وقد نشير في عرضنا إلى إمكانيات التصنيف وإمكانية التواضع على تخصيص عدد من الأوزان الصرفية اللغوية بمدلولات معينة، وفي ذلك ما من شأنه أن ييسر التوحيد في لغة العلوم:

١ ـ **الاشتقاق:** إن أخصب طريقة «منتجة للمفردات الجديدة» اتفق على استعمالها علماء اللغة عامة ونقلة العلوم إلى العربية، طريقة الاشتقاق وهي «نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة» وقيل: «الاشتقاق هو أخذ كلمة من أخرى بتغيير ما مع التناسب في المعنى».

وهذا نوع أول يسمى بالاشتقاق الصغير ويشترط فيه أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب.

وثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتتكون أسرة قوية الصلة بالأصل، واضحة في الذهن، فيصبح المدلول في متناول السامع سهلاً جلياً...

يقول أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/ ١٠١٤م): «أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن

للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض».

وذلك كالجمع فإنه يدل على مطلق الضم فقط. وأما ألفاظ مجموع ومجموعة وجامع وجامعة ومجمع واجتمع والاجتماع والجمعة فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً، وكلها مشتركة في الحروف (ج م ع) وفي هيئة تركيبها.

وكذلك مادة (ق س م) فإنها تدل على التفرقة والتجزئة وقسمة وقاسم ومقسوم ومقاسمة وقسامة وتقسيم، كلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً، وأما قسم بكسر القاف فهو مساوٍ حروفاً مع تغيير في الحركات وأكثر دلالة.

ففي الاشتقاق إذن يكون الانطلاق من وحدة اللفظ المادية ويستغل ما لتصاريف الكلمة من تصريف، فيردف اللفظ الأصلي بأسرة من المشتقات يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً وينتظم الكل في عقد متسامت مرتب ترتيباً منطقياً.

وإذا ما استعملنا لغة الرياضيات العصرية فإنه يمكننا أن نقول إن الاشتقاق عملية داخلية، هي ما قد يسمى بالتشاكل الداخلي أو ما يسميه عالم اللسانيات مرتني «بالتوليد المركّز» وهي طريقة خصبة تثري معجم اللغة إثراءً عظيماً، وبسبب ذلك اهتم بها أئمة اللغة منذ القديم وأفردوا لها التآليف الخاصة وعالجوها معالجات متعددة متنوعة حسب نزعة المصنف وفلسفته اللغوية... كما عاد إلى الاشتقاق الباحثون المحدثون وخصّوه بالدرس والتمحيص.

فهذا ابن فارس مثلاً يقول: «إن العرب طبقوا هذه الطريقة حتى على المعرب» فمن الدرهم اشتقوا الفعل درهم والجمع دراهم واسم المفعول مدرهم والتصغير دريهم ومن الفلسفة اشتقوا فلسف وتفلسف وفلسفي وفلاسفة...

وهذا الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة يشير في كتابه «اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث»[1] «إلى أهمية الاشتقاق من الجامد، وما في عدم التقيد بالسماع وما في إفساح القياس في هذا الباب، من مساعدة للغة على استيعاب المعاني الحضارية الحديثة»، ويستشهد بما جاء في معجم «لسان العرب» من مثل جوربته فتجورب أي ألبسته الجورب فلبسه، وفي محاضرات الراغب «الحجاج لما جنّق الكعبة» أي رماها بالمنجنيق، وفي نشوار المحاضرة «رطلت البضاعة» أي وزنتها في يدي لأعرف ثقلها بالرطل.

وهناك نوع ثان من الاشتقاق هو الاشتقاق الكبير، وهو أن يكون بين اللفظين

---

(١) عمان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص٢٢٥.

تنـــاسب في المادة والمعنى دون الترتيب نحـــو جبـذ مـن الجذب وذلك مثل: (س و ق) وتقـاليبهـا المتـداولـة (ق و س)، (و س ق)، (ق س و) وهي تشتمل على معنى التجمع والقـوة (لسان العـرب ج١٢ ص٣٤) ومن ذلك السـاق (إذ هي تتجمع فيها عضـلات قويـة قادرة على حمل الجسـم كله) ومنه السـوق (ويتجمع فيهـا الناس وفي الاجتماع قوة) والوسق (حمل البضاعة الثقيلة) والقوس (تزيد قوة بتوترها).

وبلغ ابن جنّي في كتـابه «الخصـائص» النهايـة في البراعة في هـذا الباب والقـدرة في فهمـه، وحاول ابن فـارس المتزامن معـه، في معجمـه الجليل (مقاييس اللغـة) أن يطبّق نظرية طريفة ترجع المفردات المشتقة في مادة لغوية واحدة، بتقاليبها، إلى معنى واحد أو إلى معان بينها اشتراك، ويمت بعضها إلى بعض بصلة.

فجمعوا بين علـم وعمل ولمع وقالـوا: «العلم نور يقذف بـه الله في أفئـدة من اجتبى ليعملوا».

وكان أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ/ ٩٩٦م) يـرى أن ما قيس على كلام العرب جزء لا يتجزأ من لغتهم فعومل المعـرب المنقول كما أشرنا إليه، معـاملة العربي الأصيل: فمن اللفظ الفـارسي الأصل هندس اشتقـوا الفعل هندس واسم الفـاعل مهندس والمنسـوب هنـدسي. ومن لفظ الصّفـر الهنـدي الأصل اشتقـوا الجمع (أصفـار) والفعل (صفّـر) والمصدر (تصفير).

وفي العلم الحديث اشتقوا من الكهرباء الفعل كهـرب والمفرد كهربا والتصغير كهيربا والمنسوب كهربياً وكهربائياً

ومن المغناطيس اشتقّوا مغنط ومغنطيّاً

وفي الكيمياء من الفسفور ذكروا الفسفرة ومن الفليور صاغوا الفلورة والتفلور.

ومن التلفزيون أو التلفزة صاغوا (تلفز) (يتلفز) (متلفزاً) (تلفازاً) (تلفزيّاً)

وكان ابن جنّي يقـول أيضاً بإمكانية الاشتاق مـن أسماء الأجناس وأسماء الأعيان (مثل ذهّب، فضّض؛ وفي اللغة الحديثة اشتقوا البستنة والنحالة لتربية النحل والسماكة لتربية السمك).

على أننـا نجـد بـالمقـابل بعضهم يقـول: «محال أن يشتقّ الأعجمي من العـربي أو بالعكس، لأن اللغات لاتشتق الواحدة من الأخرى وإنما يشتقّ في اللغة الواحدة بعضها من بعض لأن الاشتقاق نتاج وتـوليد، ومحال أن تنتج النوق إلّا حورانـاً وتولدَ المرأة إلّا إنساناً ومن اشتقّ الأعجمي من العربي كان كمن ادّعى أنه يولد الطير من الحوت»

وكان اللغويون العرب عامة يرون أنّ الاشتقاق الكبير مرجعه السماع. فعارضتهم المعتزلة بأنّ اللغة قبل كونها أداة تخاطب وتبليغ هي أولاً في جوهرها بناء منطقي من صنع العقل البشري، فرأوا أنّ القواعد العامة لإنشاء المفردات هي القارة، وأنه لمن الحيف ومن العبث أن نأمر العقل الآ يبني الجديد بل إن في الإمكان أن نتوسع في استعمال القواعد العامة وأن نطبقها حتى على ما لم يتم التواضع والإجماع على إدخاله ضمن معجم اللغة...

ولنذكر أخيراً الاشتقاق الأكبر وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نعق ونهق، ومن ذلك مع توسّع الجذر ويدل على الأصل من كل شيء (مقاييس اللغة ج١، ٤٣١، ٤٣٦ ولسان العرب ج١٩٢,٥) والجذر، أصل الحائط (مقاييس) والجذع، وهو أصل الشجرة، والجذل، وهو أصل كل شاخص مثبت رأسي (مقاييس ٤٣٨)

ونعود الآن إلى ما أشرنا إليه سابقاً من إمكانية التصنيف والتخصيص لبعض الصيغ الصرفية. وقد قمنا في رسالتنا «لغة الرياضيات في العربية» بجرد لمصادر المزيدات وصنّفنا المعلومات الإحصائية فلاحظنا أن هذه المصادر لها توزيع ثلاثي المنوال شديد الوضوح: صيغة التفعيل تقابل ٢٨٪ من جملة المصادر المستعملة وصيغة التفاعل ٢٤,٩٪ وصيغة الافتعال ١٦,٦٪، واللغة الحديثة لها ميل أكبر إلى استعمال معمم لصيغة التفاعل.

ومن المعلوم أنّ كل زيادة تلحق الفعل المجرّد تكون في الأعم الأغلب لغرض معنويّ لا يستفاد إلا منها: وصيغة التفاعل تكون غالباً للمشاركة: ولذا اقترحت تعميمها لتؤدي المعنى المشار إليه في اللغات الغربية بسابقتي iso أو Co

تشاكل isomorphisme

تزامن isochronisme

تسامت colinearite

نقط متدائرة (على دائرة واحدة) cocycliques

نقط متساوية (أو مستوية) coplanaires

تغاير covariance

كما استعمل هذا الوزن لنقل المصطلحات التي تبتدىء ب homo

متجانس homogene وفي باب المضلّعات خصّصت المنتظم منها بوزن مفعّل

تقابل homologie أمثلة رباعي (الشكل العام) مربّع (منتظم)

تناظر homographie سداسي مسدّس

تحاك homothetie عشاري معشّـر إلخ

٢ ـ المجاز: ومن جملة الأساليب لإفساح مجال اللفظ، المجاز...

وذلك أنّـه قـد يأتي على بعض الألفـاظ في حيـاتها، أن يتغيّر مـدلـولها بتغيّر محيط المجتمع الحضاري والثقافي، فتفقد الكلمة لوناً من الألوان التي تضمنتها مادّتها اللغوية الأصلية، أو قد تكتسب مدلولاً إضافيّاً جديداً.

وبالتوسّع في المعنى وبالتسلسل الدلالي نقل الكتّاب المعاني الجديدة أو كما قيل إنهم «طعّموا الجذوع الساميّة العتيقة وصنعوا المفاهيم الجديدة»

ونظرة التغيّر هذه، أو نظرة عدم التزامن هي التي يعبّر عنها بما يسمّى بالمجاز.

يقول ابن جني: «الحقيقة ما أقـرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة: والمجاز ما كان بضـدّ ذلك، وإنما يقع المجاز ويعـدل إليه عن الحقيقة لمعـان ثلاثـة، وهي الاتّساع والتّوكيد والتشبيه».

وبـالتّسلسل الدلالي «ينسى اللفـظ مدلـولـه الأصلي حين يمرّ إلى المسمّى الثـاني» وهكذا: فمن ذلك إطلاقنا لفظ مكتب وهو محلّ الكتابة على اللوحة التي تقع عليها الكتابة ثم على البيت الذي وضعت فيـه هذه اللوحـة ثم على العمارة التي تشتمل على هذا البيت ويعلّم فيها الكتابة أي المدرسة...

ومن ذلك أيضاً اللفظ ضرب بـالمعنى المعتاد ثم أريـد به دقّ الأوتاد التي إليهـا يشدّ بيت الشعر وبـذلك معنى الثبوت والتحـديد كضرب الآجال والمضرب وهـو المحلّ القارّ الثابت والضريبـة وهي الأداء المعيّن المفروض. وفي النهـاية مدلـول الضرب في الحساب للعملية المعروفة التي تنتج عدداً معيّناً انطلاقاً من عددين معلومين.

ويمكن أن نعدّد الأمثلـة من هذا النحـو كلفظ مسح ومعناه سـار في الأرض فجعلوه للقياس ومنه المساحة.

فالاتسـاع أو الإشعاع الدلالي يحمل به اسم مسمّى إلى غيره لما بينهما من المنـاسبة والاشتراك.

يقول ابـو حيّا ن في (الارتشـاف): «المجاز هـو أن يستعمل لفظ بينـه وبين الحقيقة

اتّصال: وذلك كاتّصال التسبية واتّصال السبب والبعضية والكلية والعموم والخصوص والإضافة والاشتمال» ويقول علي بن محمد الشريف الجرجاني في كتاب التعريفات: «المجاز اللغوي هو الكلمة المستعملة في غيرما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته أي إرادة معناها في ذلك الاصطلاح».

وبهذا التوسّع في المعنى وبهذا التسلسل الدلالي نقل الكتّاب المعاني الجديدة وأفسحوا مجال اللفظ.

وتؤول في غالب الأحيان هذه التغيّرات الدلالية إلى الاستناد إلى عديد الصيغ والأعراض البلاغية المستعملة قديماً، كتعميم الخاصّ وتخصيص العام... مثل الضلع في البدن واستعماله للشكل الهندسي المكوّن من خطّ منكسر مغلق... ومثل الجذر وهو يفيد لغة أصل النبات واستمدّ منه في الاصطلاح جذر الكلمة أي مادتها الأصلية، وجذر العدد وهو ما ضرب في نفسه فأنتج هذا العدد، وجذر المعادلة وهو العدد الذي تتحقّق به المعادلة.

ومن هذا الباب أيضا العدد الأصم، وهو كما يقول ابن سينا «الكمّ غير المعقول» وكذلك الكرة الصماء ضدّ الجوفاء، فما أبعدهما عن الصمم وفقدان حاسّة السمع.

فاللفظ قد نسي معناه الأصلي، ولا نلمس سوى علاقة ضئيلة بين هذا المعنى وما آل إليه في الاستعمال الاصطلاحي.

هذا ومن أهمّ أساليب المجاز الاستعارة البلاغية وهي مجاز علاقته المشابهة، وذلك كما فعلوا في مسقط العمود في الهندسة إذ استعاروا له اسم السّاق، وكما فعلوا في وحدة القياس للزّوايا والأقواس إذ استعاروا لها اسم الدرج...

ومن ذلك تسمية بعض العناصر الكيماوية (كالكبريت والزرنيخ والزئبق والنشادر) باسم الأرواح لأنها تطير إذا ما مسّتها النار.

وفي علم النبات وأنواع الأعشاب استعملوا: لسان الثور، ولسان الحمل، وسيف الذئب، واقترح القاسم بن محمد الوزير الغسّاني طبيب السلطان المغربي السعدي، أحمد المنصور، في كتابه «حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار» تصنيفاً للنباتات ميّز فيه جنس الهدبات، وهو ما له أوراق مستطيلة، قليلة العرض، وجنس المترّسات ذات الأوراق المستديرة، وجنس الألسن، وجنس الكفوف، كالخروع والتين، وجنس السيوف...إلخ.

وفي علم التشريح كثيراً ما روعي في وضع المصطلح ما يشبهه في الحياة العامة. فمن

ذلك (طبقات العين إذ سميت بالأشياء التي تشبهها كالمشيمة Scelerotique شبهت بالمشيمة Placenta، وهي التي فيها الولد في البطن والشبكية retine شبهت بالشبكة، والعنكبوتية Arachmoyde شبهت بنسج العنكبوت والقرنية Cornee شبهت بالقرن في صلابته).

وبالجملة فإن المجاز طريقة ثرية لإفساح مجال اللغة، عرفته العربية في القديم وازدهر عند ظهور الإسلام إذ وضع الشارع بعض التعابير وحدد لها المعاني التي تلائمها، وقد حافظت على ما وضعت له ونسي أصلها الذي أخذت منه، مثل الصلاة وأصلها الدعاء ثم أطلقت على شعائر وطقوس محددة كالركوع والسجود إلخ، والحج ومعنى الكلمة القصد ثم حدد لها معنى الذهاب إلى مكة المكرمة وإجراء المناسك المعروفة في البيت الحرام (يوسف عز الدين: تراثنا والمعاصرة ص٦٨).

كما اتّسع مجال المجاز عند نقل العلوم الحكمية والعلوم الدقيقة والعلوم الطبيعية:

ففي الفلسفة مثلاً وضعت كلمات الأزل والأبد والعلّة والمعلول والوجود والعدم والصورة والجوهر والعرض والقياس والروح والنفس إلخ فأصبح لها كلها معان اصطلاحية محددة وأصبح المنحى التأويلي في الفهم والتفسير نهجاً ثابتاً في التصرف في الموروث اللغوي وإفساح مجاله.

وفي الطب استعاروا مصطلحات الأمزجة والأخلاط والسوداء والدواء القابض والملطّف، وفي الأمراض: السرطان والصرع والصداع والذبحة والخناق والنزيف والانتشار...إلخ.

وفي الفيزياء، في علم المناظر درسوا الانعطاف والانعكاس والخيال والشفيف والممانعة...إلخ.

٣ ـ النحت والتركيب المزجي

هو نوع من الاختصار تضم فيه كلمتان إحداهما إلى الأخرى، أو عدة مفردات، أو أهم حروفها، فيتولد عنها اسم واحد جديد سواء أكانت الكلمتان أو الكلمات عربية أم معربة، ويكون ذلك في أعلام الأشخاص وفي أعلام الأجناس والظروف والأحوال والمركبات العددية.

والنحت ظاهرة لغوية، احتاجت إليه اللغة قديماً وحديثاً، إلا أن عدد المركّبات في العربية الدراسية ضئيل جداً (كأحد عشر، وحضرموت ومعد يكرب، وحوقل، وبسمل،

وحمدل، وعبشمي) وهذا يميزها عن سائر لغات الحضارة.

وجوّز مجمع اللغة العربية بالقاهرة المركّب المزجي في المصطلحات العلمية، عند الضرورة، وقيّد قبوله بما يقرّه المجمع (جلسة ٢١ فبراير/ شباط ١٩٤٨)، وقد يكون في الصالح أن يتحرّر النحت من هذا القيد. يقول الدكتور عبدالكريم خليفة «لا شك أن هذا طريق سوي من طرق نمو اللغة وتطورها فقد قال المتقدمون مثلاً: اللامتناهي واللاضروري واللاأدرية».

«ولقد برهن بعض الباحثين المعاصرين على ضرورة جعل النحت قياسياً لكي يستخدم في مصطلحات العلوم الحديثة...»

ويضيف ـ ونحن نوافقه تمام الموافقة في ذلك ـ فيقول: «ونحن لا نرى في (الوقوف على حدّ السماع) إلاّ إعاقة لمسيرة اللغة، في الوقت الذي تبحث فيه اللغة عن جميع إمكاناتها وخصائصها لكي تستوعب طوفان الحضارة الحديثة في أدواتها ومعارفها وعلومها...»

فيدعو إلى «أن نفتح باب القياس في النحت على مصراعيه».

ويقول مرتني متحدثاً عن هذه الطريق في اللغات الغربية: «يعبر فيها عن المخترعات الجديدة بوساطة مصطلحات علمية طويلة المبنى، يمكن تحليلها في إطار اللغات الدراسية التي تستمد منها أصولها ومادتها، ولكن هذه المصطلحات تكتسب وحدة خاصة، كأن قدت من صخر فلا يؤثر النطق بها أثراً يذكر في ذهن المستمع العادي».

ونقتبس لذلك مثالاً أتى به مصطفى الشهابي في الموضوع وهو الدواء

Iodocloroxyquinoleine (ص١٠٢).

وقد ذكرنا أن العربية الدراسية لم ترزق هذه المزية بل إنه يعوزها ما للغات الغربية من مجموعات سوابق ولواحق مخصصة تدخل على المادة الأصلية فتمحّض مدلولها في اتجاه خاص أو هي تضفي عليها لوناً جديداً من المعاني. وقد استقريت في رسالتي للدكتوراة «لغة الرياضيات في العربية» جملة هذه السوابق واللواحق ومدلولاتها وتقدمت بمقترحات لنقلها إلى العربية:

ومن ذلك السابقة iso وهي تدل على مفهوم المساواة والمشابهة، واقترحت كما قلت تعميم صيغة التفاعل على هذا المعنى:

isochrone متزامن، isomorphisme تشاكل (بنحت الكلمتين تشابه وشكل) و isotrope متشاجه (نحت التشابه والوجه).

واقترح مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكذلك مصطفى الشهابي، لنقل اللاحقة oide صيغة شبه، فقيل conoide شبه مخروط وParaboloide شبه مجسم مكافىء ومع نحت واضح Colloidal شبغروي. واستعملت في اللغة الاصطلاحية العصرية ألفاظ منحوتة من نوع لا خطي واللانهاية واللامادة واللامائي anhydre واللامبالاة واللامركزية أو كذلك تحتربة Sous-sol وبرمائي amphibien واتصالات بيقارية in-tercontinentale وبيمدنية interurbains وكهر حراري thermoelectrique وكهر مغنطي electromagnetique.

وينقل لنا الشهابي أمثلة من مركبات الظروف الزمانية والمكانية القديمة صباح مساء وليل نهار، وبين بين، ومن مركبات الأحوال: وقعوا في حيص بيص، وتفرقوا شذر مذر.

ويضيف «ونحن في حاجة إلى النحت في ترجمة بعض الأسماء العلمية (وأضيف التقنية والحضارية)، ولكن النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصة. فكثيراً ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة عربية واحدة يمجّها الذوق ويستغلق المعنى».

ونشير في خاتمة هذا الفصل إلى لاحقتين وسّع بهما العرب صيغ العربية في السباق وطوعوها وأغنوها فوضعوا المصدر الصناعي وهو اسم تلحقه ياء النسبة مردفة بالتاء للدلالة على صفة فيه، وطبقوا ذلك حتى على الحروف: ومن ذلك الجنسية والقومية والجزئية والبعضية والكمية والكيفية والماهية واللمّية والمعيّة... كما زادوا الألف والنون في النسب لمعنى قصدوه: كنفساني وروحاني وربّاني وطولاني وتحتاني وفوقاني إلخ.

٤ ـ الاقتراض اللغوي: المعرّب والدخيل

يقول Vendryes: «إن المفردات الحضارية على الخصوص معرضة للاقتراض: وهي تُحمَل بمعية المتاع الذي تدلّ عليه» [الراديو والتلفزيون والإلكترونية إلخ].

وإنما يهمنا هنا ما يخص اقتراض المصطلحات العلمية المخصصة، وبصفة عامة إن هذه الظاهرة تدل على الإعواز والفقر، وهي ظاهرة اجتماعية «تمثّل الهجرة في الميدان اللساني» (Dauzat).

ويرى معظم الاختصاصيين العرب أنه لا ينبغي أن يلجأ إليها إلا عند الضرورة، وإذا

عجزت سائر الوسائل عن الإدلاء با لمصطلح اللائق.

وقد تسمّى هذه الطريقة أيضاً تعريباً أي نقلاً إلى العربية للمفردات الأعجمية بلفظها.

ويعرّف ذلك الجوهري (ت ٤٠٠هـ) بقوله: «تعريب الاسم الأعجمي إن تفوّه به العرب على مناهجها» ويقول السيوطي في (المزهر): «هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها».

هذا وإن العرب في نهضتهم الأولى لم يتحرجوا من هذا النوع من التعريب بعد صوغ المعرّب في صيغة تتفق مع الأوزان الصرفية العربية المعروفة حتى يتلاءم مع الذوق العربي...

فأبدلوا بالجومطريا الهندسة، وأصلها بالفارسية أندازه، فأبدلوا بالهمزة الهاء لاتحادهما في المخرج، وأبدلوا بالزّاي السين إذ لا وجود في العربية لدال بعدها زاي.

بل إنهم لم يتحرجوا من تبنّى الكثير من الدخيل على صيغته الأعجمية فاستعملوا القرسطون والاسفيداج والكهرباء والأبنوس والزيج والجوزهر والمالنخوليا والمغناطيس والنارنج والباذنجان والأنيسون والفاوانيا والاسقلوفندرين والجنطيانا والقولنج والدوستريا....إلخ. وفي «الرسالة الألواحية» المنسوبة إلى ابن سينا، وقمت بتحقيقها، أحصيت مالا يقلّ عن ٣٠٪ من المفردات من أصل أعجمي يوناني أو فارسي، أو هندي، أو لاتيني.

وفي العصر الحاضر كان عبدالقادر المغربي، من مجمع اللغة العربية بدمشق، على استعداد للتقبّل في العربية لكل لفظ أعجمي «استعمله معظم الكتّاب وتمّت ملاءمته مع البنية السامية».

ويرى مصطفى الشهابي «أن في العلوم الحديثة ألفاظاً أعجمية كثيرة يجب تعريبها (بمعنى تبنيها في العربية). ولا سيما ما كان منها منسوباً إلى أعلام، سواء أكانت على أوزان عربية أم لا، وكثير منها لا يمكن العبث بها بغية جعلها تستقيم على الأوزان العربية».

هذا على أن البيروني كان ينتقد النقلة المستعملين لمصطلحات من لغات أعجمية فيقول في كتابه (تحديد نهايات الأماكن): «إذا ذكر لهم (أي للمستمعين) إيساغوجي، وقاطيغوراس، وباري أرمينياس وأنولوطيقا، رأيتهم يشمئزون عنه، وينظرون نظر المغشيّ عليه من الموت، وحقّ لهم، فالجناية من المترجمين، إذ لو نقلت الأسامي إلى العربية فقيل: كتاب المدخل، والمقولات، والعبارة، والقياس والبرهان لوجدوا متسارعين

إلى قبولها غير معرضين عنها...».

ولا أخفي أنّي طالما تبنّيت نظرة البيروني هذه، ولا سيما في عهد الاستعمار ببلدي، فكنت مندفعاً متحمّساً للغة العربية تحمّساً عاطفياً.... وكنت كتبت أن «من يقترض يقترض لأنه في حاجة إلى أمر لازم يعوزه، ومن يتعوّد الاقتراض يقرر بكسله مبرّراً إيّاه بتأكّد الحاجة وحتمية الإسراع، فإذا لم يقم المرء أو الجمع بما يلزم من جهد وحزم للخروج من حالة الإعواز والعجز تلك فهو يحكم على نفسه بالتبعية المستمرة الدائمة للغير» وعلى حد تعبير Dauzat إنّ تبنّي الألفاظ الأعجمية «ظاهرة اجتماعية تمثّل الهجرة في الميدان اللساني».

وفي الإمكان أن يوضع مشكل التعريب ونقل الاصطلاحات العلمية في إطار أفسح وأعم، طالما واجهته البشرية جمعاء في مراحل متعدّدة من تاريخها، و لا سيّما في فترات التحوّل والتطوّر، وهو إطار نقل التقنيات من بلد إلى آخر...

ومن ألحّ التساؤلات بين أهل العصر: هل تكتسب العلوم والتقنيات بالاقتباس المجرد والنقل؟ وهل إنّ الدول السائرة في طريق النموّ من واجبها أن تقتصر على أن تتلقى من الأمم المصنّعة خبراتها وأساليبها وطرقها العملية وأن تنقل نماذجها الإنمائية كما هي أو هل يجب على كل بلد أن يقتبس من غيره ما يقتبس وأن يلائم بينه وبين وضعه الخاص ودرجته في النمو وبيئته الذاتية فيجمع هكذا بين الخصوصية والوحدة والتنوّع وبين العمومية والشمول والاشتراك ويخلق الأمر الطريف الذي من شأنه بدوره أن يحتذى، فيكون الناقل هكذا قد أهدى سائر البشر عوضاً عمّا نقل؟

ومهما يكن من أمر فإننا نرى أن استعمال الدخيل استعمالاً مكثفاً في لغة من اللغات لا بدّ أن يتم في فترة انتقالية مؤقتة أساساً من شأنها أن تتبعها فترات تتخصص للتحرير الإيجابي حتى تلائم اللغة متطلبات الوضع الاجتماعي والتقني والعلمي المفروض. ففترة الاقتباس بمثابة الاستراحة، كما في الميدان الاقتصادي، ريثما تنشأ البنى التي تمكّن شيئاً فشيئاً من الاعتماد على النفس، ومن التخلص اللاشعوري من التبعية إلى الغير.

ولنختم قولنا عن الاقتراض بكلمة لبيار قيرو يقول فيها «إذا ما كان العالم العصري يتطلب منا أن نتخلى عن جزء من سيادتنا اللسانية، فالرجوع البسيط الى سنتنا العامة هو الذي يلوح فيه الحل الأكثر منطقاً والأوفر عملاً، والحري بالمحافظة على مصالح الجميع الثقافية والسياسية واللسانية».

وبدون شك إنه لأمر مميت أن نعتكف داخل حواجز من الشعوبية العقيمة، ولكن

الخطر أشد إن نحن تخبطنا شيئاً فشيئاً في مسالك التقليد السلبي».

هذا ولعلّ الصبح قريب... فإننا بفضل الله نرى عدد الراسخين في العلم في الوطن العربي يتزايد يوما فيوما، وإن كثرة منهم منذ الآن شرعوا في تصدير نتائجهم العلمية نحو مواطن أخرى. وبذلك بدأنا بدورنا نعمل على أن نرد على ما أخذنا عوضاً وأن نجري بيننا وبين غيرنا تياراً مستمراً من التبادل الحق. وفي ذلك ما يحفظ كرامة الطرفين، فلم نعد نستحيي من الطلب إذ صرنا نقدم عنه بديلاً، وأقلعنا عن القول بأن في النَّسخ المسخ وأنّ الاستعارة في ضمنها العار.

أيّها الزملاء الأفاضل

نصل إلى نهاية حديثنا فأكرر ما كنت كتبت منذ سنوات عديدة من أن المسألة التي نخوضها «تهمّ أساساً البشر أكثر مما تهم المعجم إذ هذا الأخير في جوهره، حيّ متدفّق، نابع من معين الحياة ذاته، وإن الأمر يتعلق بتكوين البشر» وإني أساند تمام المساندة ما ذهب إليه الدكتور عبدالكريم اليافي من مجمع اللغة العربية بدمشق حيث يقول: «وعندنا أن الكاتب المبين ينبغي ألاّ يقف عند مصطلح ما أجنبي يعالجه إذا فهم مضمونه وأدرك ما يدل عليه تماماً. بل يستطيع استعماله كما هو أو يصقله صقلاً مناسباً يوحي به، أو يخضعه لمقاييس اللغة العربية المرنة، وهذا هو أحد معاني التعريب، ومن المتعارف أن من معانيه أيضاً نقل النصوص الأجنبية والمعارف الحديثة إلى العربية. ومهما تفاقم شأن المصطلح وطما فهو أدنى من ضرورة إتقان اللغة المكتوب بها وسلامة بيانها وإدراك سبل التعبير الدقيق فيها».

(مجلة التعريب، دمشق، العدد ١، رمضان: ١٤١١هـ، آذار (مارس) ١٩٩١م).

فإذا ما تكونت الأدمغة العالمة، محلاّة بما يلزم من العدّة اللسانية تأتي المفردات بيسر، ولكلّ فتح جديد يخلق الاسم الجديد ويزيد ذلك اللغة ثراءً، يبعث فيها دماً حيّاً فتصير متبنية للمعاني الجديدة، وعنها تؤخذ وتنقل إلى سائر اللغات ويتيسر بذلك التبادل بينها، ويتضخم ما بين دفتي معاجمها....

أيها الزملاء الكرام

سنكتفي بما سبق للتذكير بما كان لعمل النقلة والمترجمين من شأن في عصر العرب الذهبي، وبما سلكوا من طرق للتعبير عن المستجدّات العلمية والمستحدثات الحضارية، ونلخص القول، وقد نتلاقى في البعض من جوانب حديثنا، مع ما سجّل من توصيات في مختلف مؤتمرات التعريب أو ما أقر من مبادىء في المجامع اللغوية العربية.

ولنكرر أن اللغة العربية ملك لكل جيل عربي، فيها يتصرفون ويجيلون أيديهم بالإضافة والتوليد، وعليهم جميعاً مسؤولية المحافظة على ثرواتها وتنميتها. والمعجم لم يكن قط محدوداً متنا هياً، بل هو دوماً في تجدد وفي نماء متصل.

والتعريب الحق مورد إغناء لا ينضب وجسر يمتد بين العالم العربي وسائر العوالم الأجنبية ووسيلة انفتاح على الحضارة العالمية المعاصرة وعلى الثقافات العلمية والتكنولوجية المتطورة... ولا يكون السلوك القويم في التقوقع والانغلاق على الذات.

هذا وليس القصد من الترجمة والتعريب (بشتى وسائله من اشتقاق ومجاز ونحت واقتراض) نقل كائنات أجنبية إلى الحقل العربي كي تقرأ بالحروف العربية بل الأصل هو أن يسبق ذلك أو أن يصاحبه تمثّل للمادة المنقولة واستعداد ذهني وثقافي يتلاءم مع محتوى المفاهيم المنقولة، يوظفها التوظيف المناسب للوسط الاجتماعي والاقتصادي والروحي العربي...

والعمل الأول هو تعريب الأذهان والإيمان بانتماء الشخص المتعلم المثقف لمجموعة بذاتها ولأمة بعينها، هي البوتقة التي تنصب فيها وتنصهر إبداعات أفرادها ومكتشفاتهم.

ولعل من أهم ما ينبغي أن نلفت النظر إليه أن الثقافة الحق رهينة شرط أصولي أساسي وهو أن يجتمع فيها طابعان: طابع العموم وطابع الخصوصية، أي صفات العنصر الفرد وخواص انتمائه لمجموعات يتضمن بعضها بعضا، وتلك ثنائية يفرضها واجب الخلق وتبعث على تكوين شخصية ممتازة متميزة وبها يكون المرء معطاءً بقدر ما يكون مستعداً للقبول والأخذ.

هذا وأضحى من المسلّم به أن التمكن من المادة العلمية يكون أيسر وأقوى إذا ما لقنها الطالب بلغته الأم، فلا تكتسب العلوم بالاقتباس والنقل فقط، ولئن قد يصح ذلك في أول الأمر للإسراع فإنه لا يصح في المراحل الموالية للاندفاع في سبيل النهضة.

والمستوى العلمي في بلد من البلدان إنما يقاس بما يوجد فيه من أمهات الكتب الجامعة الشاملة المؤلفة في لغة البلاد...

فمن الواجب بعث التراث الفكري العربي بنقل أمهات الكتب العلمية والتقنية والفنية والفكرية إلى العربية، والتأليف والتدريس باللغة العربية في جميع مراحل التعليم العالي.

ويجب اتخاذ التدابير المناسبة التي من شأنها أن تشجع الباحثين على التأليف والنشر بأن يوفر لهم الوقت الكافي والوسائل المادية اللازمة من مكافآت ومكتبات

ومخطوطات مصـورة ومختبرات آلية كما يجب العمل على تيسير النشر لما يجدّ تأليفه أو ترجمته من الكتب العلمية وتوزيعه توزيعاً شاملاً للوطن العربي بأجمعه.

أيها الزملاء الأفاضل

إنه لم يعد من الكافي أن نعلن فيما بيننـا عن الاتفاق المبدئي، فنحن في وضـع لا يغني فيه مجرد حسن النيـة وطيب الاستعداد... إنما الأمـر عمل وجدّ وإنجاز... فهـذه عجلة الزمن تدور متسارعة ومن تخلّف عن الرّكب ركد، وآل إلى العدم وفسد...

وآن الأوان أن نفكّر تفكيراً جدياً جماعيـاً في التخطيط الدقيق للعمل المشترك والالتزام الصارم الحازم بتطبيق مقتضياته.

أيها الزملاء العلماء

إننـا نرى كثـرة من المجامع اللغـوية متـوزعة في الـوطن العربي، ونشـاهد جهـوداً تتشتت ومناهج تختلف، على الـرغم من وجود اتحاد للمجـامع اللغوية العـربية. فنهيب بالمجمع اللغوي الأردني الحازم أن يضطلع برسالة التـوحيد وأن يتزعم الدعوة لإرسـاء مؤسسـة قومية مجمعية واحدة، في ظل جـامعة الدول العربية، تضم أعضاء أكفاء علماء ولغويين، من الأقطـار العربيـة كافة، يمثلـون ثقافيـاً بلدانهم، ولهم صـلاحية البت في الأمور بـاسمها ويتحملون بـاسمها مسؤوليـة الالتزام بتطبيق القرارات والتـوصيات المتخذة جماعياً وبمتابعة هذا التطبيق.

كما نهيب به أن يقـوم بسعي حثيث لدى أولي الأمـر في البلدان العربيـة كي يشجعوا الراسخين في العلم العرب، مهما كان القطر الذي ينتمون إليـه، بإنشاء مؤسسات قومية للبحث مجهزة بأحدث التجهيـزات، ومدّ العلماء بالمكافآت المغريـة والاعتمادات اللائقة، وخلق الجو الملائم المسـاعد على العمل العلمي من طمأنينـة وحريـة وعيش سليم، حتى يقلعوا عن الهجرة إلى مواطن يظنون أنهم فيها سالمون، جادون منتجون متمتعون بلذة النجاح والتوفيق.

﴿وَإِنَّ اللَّـهَ لَـهَـادِ الَّـذِيـنَ آمَنُـوا إِلَى صِـرَاطٍ مُسْتَـقِـيمٍ﴾

﴿فَـأُولَـئِـكَ كَـانَ سَعيُهُمْ مَشْكُـوراً﴾

٤٣

نـــدوة

اللغة العربية في الجامعات الأردنية واقعاً وطموحاً

أدارهـــا:ـ

الأستاذ الدكتور: عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع

شارك فيها:ـ

الأستاذ الدكتور: محمد عدنان البخيت، رئيس جامعة آل البيت

الأستاذ الدكتور: سعد حجازي، جامعة العلوم والتكنولوجيا

الأستاذ الدكتور: بشير الخضرا، عميد كلية الاقتصاد، جامعة اليرموك

الأحد ١٠ ذو القعدة ١٤١٣هـ-٢ أيار ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية لأساتذتنا الذين جاءوا من أماكن بعيدة، ووصلوا في هذا الوقت للتو. لا شك أن هذه الندوة التي يشارك فيها أساتذة أعلام من المسؤولين في جامعاتنا الأردنية، ولا شك أن هذه المهمة، التي تتعلق بلغة الأمة، وبجوهر وجودها، وبأسباب نهضتها، هي التي دفعت إخواننا وزملاءنا للقدوم والمشاركة في هذه الندوة. وأعلم يقيناً أن الأستاذ الكريم الدكتور سعد حجازي، كان من المقرر أن يحضر ندوة أخرى خارج الأردن. ولكنه فضل المشاركة في هذه الندوة.

إن جامعاتنا الأربع ممثلة في هذا الاجتماع، ونعتبر أن كلاً من الزملاء المشاركين يمثل الجامعات الأربع وليس جامعته فقط. فقبل ثلاثين عاماً، كانت فكرة الجامعة أمنيّة، وكتبت مقالاً في مجلة «رسالة المعلم»، عنوانه: نحو جامعة أردنية. ثم أنشئت الجامعة الأردنية بعد ذلك. وخلال هذه السنين الطوال، ازدهرت الجامعة الأردنية وتبعتها جامعات أخرى، أثبتت وجودها، وبعضها ما زال يشق طريقه، ولكن القضية الأساسية، وهي قضية تعريب التدريس في هذه الجامعات، ما زالت تراوح مكانها مع الأسف.

إن قضية اللغة العربية باعتبارها اللغة القومية، ما زالت مع الأسف تطرح في جامعاتنا الأردنية، كما تطرح في جامعاتنا العربية. ولا أعلم كيف نبدأ حديثنا في هذه القضية الخطيرة، كيف يمكن أن نرى شعوباً وأمماً ليس للغاتها تاريخ لغتنا، ولا تجربتها الخصبة، تصبح لغة العلم والتقنيات الحديثة، لغة الطب، والهندسة، وجميع العلوم في جامعاتها ومؤسساتها العلمية. ونحن ما زلنا نحاور، ونناظر، في جامعاتنا وفي مؤسساتنا وفي مجامعنا اللغوية عبر الوطن العربي من الرباط إلى بغداد!! متسائلين هل نقدم على التعريب أو لا نقدم!! وهل نشفق على الإبداع وعلى العلم من هذه اللغة، إلى آخر هذه الحجج الواهية. ونحن نعجب كل العجب أنها ما زالت تطرح في بلادنا، من خلال علمائنا ومثقفينا، ومتخصصينا في مختلف الفروع؟! كيف يمكن أن يقبل المنطق أن تدرس الأمم التي قد لا يتجاوز عدد سكانها بضعة ملايين بلغاتها القومية لتصبح لغاتها قادرة على تدريس جميع المواد، وفي جميع الكليات. فلتوانيا مثلاً تدرس باللغة اللتوانية، ولا يتجاوز عدد الناطقين باللغة اللتوانية المليون والنصف، وفنلندا كذلك الأمر ومثلها بلغاريا، وكوريا...إلخ. دون أن نتحدث عن إخواننا في تركيا وفي إيرا ن!

ما بال هذه اللغة يا علماءنا وهي لغة العروبة والإسلام، ما زالت غريبة في جامعاتها وكثير من مؤسساتها؟ هل القضية تتعلق حقيقة بلغتنا العربية، من حيث هي لغة؟! لا أعتقد أن أي مفكر منصف يدرس هذه القضية يقول بموضوعية وعدل ومنطق، إن

القضيـة قضيـة لغة. لا شـك أن كل عمل كبير يحتاج إلى جهـود متميـزة ومن قـال إن الأعمال الكبيرة لا تتطلب جهـوداً كبيرة؟! ولكن الطـريـق الـوحيـد لنهضـة الأمـة، ومشاركتها المبدعة، يكون باستعمال لغتها. فتكون اللغة العربية، لغة العلم ولغة الفكر والتقنيات. لقـد أثبتت العربيـة قدرتها وحيـويتها من خـلال تجربتها التـاريخية التي امتدت عـدة قرون، عندمـا كانت اللغة الأولى في العالم. ومنـذ بداية القـرن التاسع عشر أصبحت اللغة العربيـة لغة التعليم الطبي، والهندسي، والعلوم في مصر، وذلـك منذ سنة ١٨٣٤. وعندمـا استقدمـوا الأساتـذة الفرنسيين وغيرهم كان إلى جـانب كل منهم، مَنْ يترجم المحاضرة العلميـة إلى اللغة العـربية. واستمـر هذا الـوضع حتى تكوّن أسـاتذة مصريون يـدرسون الطـب والهندسـة باللغة العـربية. وفي نهايـة القرن التـاسع عشر وعندما اجتاح الاستعمار البريطاني سنة ١٨٨٢ البـلاد المصرية فرض التدريس باللغة الإنجليـزية بـدلاً من اللغة العـربيـة. وفي هذا التـاريخ أيضـاً فرض التـدريس باللغـة الإنجليزيـة في الكلية الوطنية السـورية ببيروت التي أصبحت فيما بعد تـدعى الجامعة الأمريكية، وكـانت قبل ذلك تدرّس بالعـربية. وبعد انتهاء الحرب العـالمية الأولى، ومنذ سنة ١٩١٩م، بدأت دولة الشـام، وكان الأردن جزءاً منها، فرض العربيـة لغة للتدريس وبدأ المعهـد الطبي العربي يدرّس باللغـة العربية في دمشق وكذلك معهـد الحقوق. ولم يستطع الاستعمار الفرنسي خـلال ربع قرن أن يفرض الردة على هـذا الاتجاه الوطني الأصيل.

وكـان شرق الأردن طوال القـرون جزءاً من ولايـة الشـام، وبالتـالي جزءاً من بـلاد الشام. والعروبة أصيلـة فيه، ولم نعرف سوى العربية في هذا البلـد منذ فجر الإسلام، بل قبل الإسـلام أيضاً، إذ كـانت القبائل العـربية تنتشر في بقـاع فلسطين والأردن. ولم تكن قضية التـدريس باللغـة العربيـة في المدارس الأردنية قضيـة مطروحـة للجدل بل كانت قضية بديهية في زمن المغفور له الملك عبدالله بن الحسين.

وتكاملت مـراحل التعليم في الأردن باللغة العـربية في المدارس الابتدائية والإعـدادية والثانوية والمهنيـة ودور المعلمين في الوقت الذي كانوا يناقشـون، في تونس وغيرها، أنّ تدريس الحسـاب باللغة العـربية في الصف الرابع الابتـدائي يضعف المستوى العلمي. ومن هنا يخلصون إلى ضرورة التدريس باللغة الفرنسية.

أقـول، لم تكن هنـالك مشكلة مطـروحـة في هـذا البلد العـربي الأصيل، في مـراحل التدريس الأساسية والثانويـة ثم في دور المعلمين والمدارس المهنية، ومدة التدريس فيها سنتان بعد الثانوية، بل كان الأمر كذلك عندما بدأت الجامعة الأردنية.

أيها السادة: لقـد كان لي شرف مصـاحبة هـذه الفترة، وقد فـرضت فكـرة الجامعة

الأردنيـة فرضـاً على رغم أنف الاستعمار، وعلى رغم البعثـات الأجنبية التي استقـدمت لدراسـة إمكانية إنشاء جـامعة في هذا البلـد، وقدمت تقاريرهـا أن الأردن، وكان إذ ذاك بضفتيه، ليس بحاجة إلى جامعة، وأنـه بحاجة فقط إلى تطوير دار المعلمين بأن تضاف إليها سنتان دراسيتان أخريان. وفي البـداية استقر الرأي على هذا الشكل وبدأت وزارة التربية والتعليم، مع الخبراء الأجانب، وضـع المناهج لإضافـة سنتين. وهذا التقرير الذي وضعته البعثة الأمـريكية ما زال موجوداً في وزارة التربيـة والتعليم، إذا كان قد بقي، ثم بعدئذٍ، وللحق وللتاريخ نقول: جاء قرار جلالة الملك المعظم، فقال جامعة أردنية.

وبدأت الجامعـة الأردنية بكلية لـلآداب، تحتوي على ستة أقسـام وهي: قسم اللغة العربية وقسم اللغة الإنجليـزية، وقسم التاريخ، وقسم علم الاجتماع والفلسفة، وقسم الجغرافيـة، وقسم التربية وعلم النفس. وبـدأت جميعها تدرس بـاللغة العربيـة. وكان الاعتماد الأساسي، على ميزانيـة الجامعة التي لم ترض عنها هذه القـوى الأجنبية. كانت ميزانية الجامعة، من موازنة المكلف الأردني. وبعد كلية الآداب بدأت الكلية الثانية، كلية الاقتصـاد والتجارة، وبـدأت تدرس الاقتصـاد والإحصـاء، والعلوم الإداريـة، والإدارة العامة، والمحاسبة، وإدارة الأعمال، باللغة العربية.

ثم بعدئذٍ انطلقت الجامعة، وبدأت تحقق نجاحاً. وهنا عمدت الأيدي التي كانت تمتد لمقاومتها ولعدم إنشاء هذه الجامعة، فبدأت تمتد لكي تفرض سيطرتها اللغوية على هذه الجامعة. وبدأنا بكلية العلوم، وكانت الأوضاع يحددها الواقع العملي. إذ ليس هنالك من الأساتذة من يدرس باللغة العربية، واتكاءً على المادة التي مؤداها «أن اللغة العربية هي لغة التدريس في الجامعة الأردنية ويجوز في حالات خاصة استعمال اللغة الأجنبية» بدأ التـدريس في كلية العلـوم باللغـة الإنجليزيـة مؤقتـاً ريثما يكوّن كـادر من الأساتـذة الأردنيين القـادرين على تـدريس العلوم بـاللغـة العـربيـة. ثم بعدئذٍ تطـورت الأمـور وتعرفون القصة. وإذا بجميع الكليات العلمية تبـدأ التدريس باللغة الإنجليزية. ويصل الأمر بكلية الزراعة، كلية الفلاحة، بأن تدرس أيضاً باللغة الإنجليزية. هذا مع العلم أننا نـذكر صبـاح مسـاء في مناقشـاتنـا، أن من أهم أهداف الجامعـة التفـاعل مع المواطن الأردني. ونحن بدأنـا نعد الخريج من كلية الـزراعة، الذي من المفـروض أن يتفاعل مع الفلاح الأردني، نعـده من خلال اللغة الإنجليزيـة. ثم جاءت جامعة وطنيـة أخرى وهي جامعة اليرمـوك، وهي جامعة حكوميـة، فإذا بها ترتد وتبدأ تـدرس جميع المواد باللغة الإنجليزيـة. وإنني لأتساءل: هل هـذا الوضع يمثل حقيقة اللغـة العربيـة وقدرتها من حيث هي لغة؟ فكيف ندرّس المحاسبة مثلاً والاقتصـاد والعلوم الإدارية باللغة العربية في الجامعـة الأردنية ثم لا تفي هـذه اللغـة بتدريس الاقتصـاد وبقيـة المواد في جامعـة

اليرموك!!

إنّ هذا الـوضـع الذي نلمسـه في مؤسسـات للبحث العلمي غير منطقي، ولا يجوز أن يستمر دون أن تقومه وتمحصه هذه المؤسسات العلمية.

وعلى كل حال لا أريد أن أطيل عليكم لأنه في الجامعـة الأردنية ذاتها، وفي الدراسات العليا في الاقتصـاد والتجارة، والعلوم الإدارية، بـدأوا مع الأسف يرتدون في الـدراسات العليا فاستبدلوا في التدريس باللغة العـربية اللغة الإنجليزية وتجري الامتحانات باللغة الإنجليزية.

ونحن إذا ما وجهنا النظـر إلى الأقسام التي تدرس باللغة العربيـة نجد أنفسنا أيضاً أمام هذا السـؤال: هل تدرّس هذه الأقسام حقيقـة باللغة العربية؟! لماذا اللغـة العربية وهي لغتنا القـومية الجامعة هيّنة على نفـوسنا؟! كيف يمكن للأردني بل للعـربي الذي ينطق باللغة الأجنبية أن يعجب أو يضيق ذرعـاً إذا ما سمع خطيئة تقترف في هذه اللغة الأجنبية، ولكنه يجد من الطبيعي أن يستعمل العاميـة في التدريس حتى في الأقسام التي تدرس باللغة العربية؟!

هذا هو وضـع اللغة العربية تزاحمهـا اللغة الأجنبية من نـاحية وتتعرض إلى الهوان وعدم الاهتمام من المسؤولين من نـاحية أخرى، ويضاف إلى ذلك كله نكوص أسـاتذتنا وعلمائنا وتقاعسهم عن بذل الجهد الضروري لتدريس موادهم باللغة العربية.

هذا هو يا سادتي موضوع بحث هـذه الندوة. ويسعدني أن أقدم نخبة من الأساتذة الأعلام من زملائنا لكي يتحدث كلٌ منهم في هذه القضية من وجهة النظر التي يختارها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ الجليل الدكتور عبدالكريم خليفة / رئيس المجمع

معالي الأستاذ الدكتور محمود السمرة

الإخوة الزملاء

أيتها الأخوات والإخوة

أرجو أن تأذنوا لي بادىء ذي بدء أن أتوجه بالشكر إلى المجمع الكريم لتفضله بدعوتي للمشاركة مع عدد من زملائي هذا المساء، في هذه الندوة حول موضوع يهمنا جميعاً حاضراً ومستقبلاً، ويتصل بطبيعة الحال بمستقبلنا الثقافي والحضاري والتعليمي، ألا وهو موضوع اللغة العربية في الجامعات الأردنية واقعاً وطموحاً. وأحب أن أوضح بداية أن جميع ما سأقوله بين أيديكم هذا المساء يعبر عن وجهة نظري الشخصية، ولا يعكس موقفاً رسمياً للجامعات التي عملت فيها ابتداءً من الجامعة الأردنية، ومروراً بجامعة مؤتة، ومن ثَمَّ جامعة آل البيت.

إلاّ أن لهذه المؤسسات الفضل الكبير عليّ في تشكيل ملحوظاتي، التي لا أحمّلها أية مسؤولية عنها. ومن هنا أنتقل لأقول إننا جميعاً بحاجة إلى التفكر والتفكير والمشاركة في بلورة الرأي حول هذا الموضوع المهم والخطير. وإذا ما عدنا إلى قانون الجامعة الأردنية فإننا نجد في المادة الرابعة منه النص التالي: «اللغة العربية هي لغة التدريس في كليات الجامعة ومعاهدها، ولمجلس الجامعة أن يقرر استعمال لغة أخرى للتدريس حينما تقضي الضرورة بذلك». ونجد مثل هذا النص تقريباً، وارداً لدى بقية الجامعات الأردنية، ونجد أيضاً أن الرسالة الملكية الموجهة إلى سيادة رئيس مجلس الوزراء، والمتعلقة بإنشاء جامعة آل البيت، قد نصّت على ما يلي: «ولما كان الإسلام تعبيراً عربياً للوحي الإلهي، واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، والسنة الشريفة، فمن الطبيعي إذن أن تكون اللغة العربية لغة التدريس الرئيسية في الجامعة إلى جانب لغات الشعوب الإسلامية ولغات غيرنا من الأمم».

إلاّ أن هذا الجواز، أصبح هو القاعدة، والقاعدة أصبحت هي الاستثناء، وبخاصة في الكليات العلمية للجامعات الأردنية، وذلك لأسباب عديدة سأتناولها إثر تقديمي للملحوظات التالية:

أولاً: لقد لاحظت من خلال مواكبتي للعمل في الجامعتين: الأردنية ومؤتة أن الطلاب لا يُدرَّبون على سلامة التعبير وعلى دقته، كما أنهم لا يُدرَّبون على سلامة النطق. من هنا نجد أن مَلَكة التعبير لدى طلبتنا ضعيفة، وتعاني من عدم التماسك ومن التشتت الفكري نتيجة لذلك. وسأتجاوز هنا ملكة التعبير

السائدة لأقول إن الدراسات العديدة التي قامت لمعرفة أماكن الضعف من حيث اللغة والصرف والنحو لدى الطلبة، لم تتم متابعتها ومراجعتها وتقويمها وتطبيق الضروري منها. وتبقى الشكوى تكرَّر وتعاد، بأن الجامعة غير مسؤولة عن هذا الضعف البائن لدى الطلبة، بل المسؤولية تقع على وزارة التربية والتعليم. ولا نستطيع أن نعزل أنفسنا ونكتفي بتحميل المسؤولية، لجهة دون أخرى. فنحن جميعاً شركاء في تحمل المسؤولية وفي البحث عن حلّ لهذه المعضلة.

والأمر يزداد تعقيداً إذا وجدنا أن الطالب في جامعاتنا الأردنية، يستخدم مزيجاً من التعابير تتراوح ما بين العامية المحلية، والمفردات السليمة، والتعابير الأجنبية سواء من اللغة الإنجليزية، أو من غيرها، مما تسرب إلى لغتنا اليومية.

ولعل المنهاج الذي تطرحه الجامعة لتدريس اللغة العربية يقتضي التجاوز عن الامتحانات التصنيفية، إلى وضع مواد مدروسة بشكل جيد ومهيكلة ومبرمجة التنفيذ، مع جدولة زمنية تنفذ بشكل دقيق، لمعالجة مثل هذا التخلف في مستوى اللغة العربية لدى الطلبة. ومن مراجعة سريعة لبعض الخطط، وجدت أن هناك تركيزاً على التعريف بالشواذ والشوارد بدل الأخذ بيد الطالب إلى ما هو مقبول وسليم وشائع.

ومن هنا نرى أن الطلبة، حتى على مستوى الدراسات العليا، يعتمدون على من يحرر لهم، أو يعيد كتابة الرسائل لهم في بعض الأحيان. وهذا الأمر يستدعي أخذ عينات من الرسائل الجامعية، في مختلف التخصصات، من حيث التركيب والصياغة والنحو والصرف، وما إلى ذلك، لمعرفة الواقع اللغوي لطلبة الدراسات العليا في الجامعات الأردنية. والأمر يمتد أيضاً إلى كتابة الأوراق البحثية لطلاب الدرجة الجامعية الأولى، إذ إنها، تمثل نموذجاً غير مريح، من حيث عدم القدرة على عرض الأفكار، والتعبير السليم والدقيق، فالطالب لم يدرب في الجامعات على فن الإصغاء والاستيعاب، وأصبحت علاقته مع المصادر الأم في اللغة العربية ضعيفة، وبدل أن يقرأ الطالب موضوعه من المصدر، أصبح يعتمد المرجع عن الموضوع، ويظهر ذلك من خلال الزيادة الملحوظة في الاعتماد على التصوير بدل قضاء وقت طويل مع النص الأم. وبالتالي فإن الجامعات الأردنية عموماً، الرسمية منها والخاصة على حد سواء، مدعوة لإجراء دراسة تحليلية لهذه الظاهرة الخطيرة، وتقديم اقتراحات علمية قابلة للتنفيذ لرئاسة الجامعات، لاتخاذ الخطوات اللازمة لمعالجة هذا الأمر بشكل متكامل، مع وزارة التربية والتعليم، والمدارس الرسمية والخاصة، وبطبيعة الحال، مع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

ثانياً: من المعروف أن بين أيدينا الآن عدداً كبيراً من القواميس العربية، قام على جمعها وتاليفها، علماء في اللغة العربية، لم يكونوا على معرفة باللغات القديمة والمعاصرة لهم، من ساميّة وغيرها. كما أنهم لم يكونوا، بشكل خاص، على معرفة دقيقة باللغات العربية القديمة التي تسرب عدد كبير من مفرداتها إلى اللغة الأعجمية التي وصلتنا من خلال هذه القواميس. وقد قطع علماء الآثار والنقوش والنميات، شوطاً بعيداً في تحليل النقوش العربية القديمة وتفسيرها وتعداد مفرداتها، وبالتالي أصبحت الحاجة ضرورية لإعادة بناء القاموس العربي في الجامعات الأردنية وغيرها، بحيث لا يُعطي للمفردة الواحدة هذا الحشد الكبير والمربك من المعاني، التي لا تساعد الباحث أو القارىء على معرفة الدلالة الدقيقة لكل مفردة. وهذا لم يتم إلى الآن. ومثل ذلك في الأهمية، أن الجامعات لم تتمكن إلى الآن، من البدء في مشروع قاموس تاريخ المفردات وتطور دلالاتها، معززة ذلك بالشواهد وبالنصوص، وأصبح تنفيذ مثل هذا الأمر، من الناحية العملية، ميسوراً عن طريق الحاسوب بما في ذلك دراسة اللهجات العامية، والمفردات الأجنبية، التي أصبحت عن طريق السلعة، وعن طريق وسائل الإعلام الدولية تنفذ إلى نسيجنا اللغوي، واستطاع رجال المهنة والرجل العادي، في الشارع، أن يكيفوا المفردات الغريبة، إما عن طريق النحت، أو الاشتقاق، أو الاحتفاظ بالشكل الاسمي للمفردة، ولكن لتكتب بأحرف عربية.

وإذا ما استقرت هذه المفردات الغربية، في وجدان العامة فسيكون من الصعب جداً انتزاعها من هذا الوجدان.

ثالثاً: إذا ما نظرنا في مسيرة الجامعات الأردنية، نجد غيبة لافتة للنظر في إرساء قواعد النقد والتقويم لما يكتب ولما ينشر، وكنا سابقاً في البلاد العربية، وإلى فترة قريبة، نعاني من المدح المفرط أو الهجاء المقذع، واليوم نجد أنفسنا، أمام السلبية القاتلة وعدم الاكتراث، إذ نجد الناشئة من الأدباء والكتاب وأصحاب المواهب الواعدة، دون معين لهم يأخذ بأيديهم ويقوّم مسيرتهم، ويثقف لسانهم. ونلاحظ بهذا الخصوص أن العمل الأكاديمي، في هذا الأمر، معزول ضمن إطار المحاضرات والندوات العلمية، وهو أقرب ما يكون إلى المراجعات التاريخية للنقاد القدامى في التاريخ العربي، أو هو امتداد للمدارس النقدية في الآداب الغربية، وبخاصة في اللغة الإنجليزية. وقد آن الأوان لبلد مثل الأردن، يتمتع بكل هذا الجو من حرية التعبير، أن يُعطي

مضموناً للخطاب الأردني الفكري، وذلك من خلال بروز مدرسة نقدية تنتصب من بيننا لتعوّض عما فات.

رابعاً: لم يحظ الطفل لغوياً بالعناية الكافية باستثناء بعض الدراسات التربوية، في غياب تنسيق مع المعنيين والقائمين على تدريس اللغة العربية. ومن هنا نجد أن مفردات الطفل، وهي تمثل اللبنات الأولى لتشكيله اللغوي، قد اخترقت أيضاً من قبل المفردات الغربية وأصبحت أيضاً خطة المستقبل تقتضي أن نبدأ في التصويب اللغوي من مستوى الطفل، لا أن ننتظر كما ذكرت في البند الأول، إلى أن يأتي الطالب، ونقول هذا نتاج وزارة التربية والتعليم، ولا نستطيع أن نصوب شيئاً.

خامساً: الترجمة بدأت البواكير الأولى للترجمة ـ كما ذكر الأستاذ الجليل في تقديمه ـ مع مطلع القرن التاسع عشر، في تركيا وفي مصر، وإلى حد ما في تونس، واستطاع العلماء في هذه البلدان، أن يبعثوا المصطلح العربي، بشكل دقيق، من جديد، ثم أصبحت الترجمة فريسة العمل التجاري والارتجال، حتى إنها أصبحت ترجمة قاموسية يقوم عليها في كثيرمن الحالات أناس غير ضليعين باللغة العربية. وتجيء الترجمة في الجامعات، محدودة ومرهونة بالتعيين والترقية، وبالنقل والتجديد وما إلى ذلك.

والأمر الذي يهمنا هنا، ليس الترجمة التجارية، بل ترجمة العلوم لتوفير النص للطالب في الكليات العلمية، لكي يكون باللغة العربية، وقد قطع هذا المجمع الكريم شوطاً كبيراً في هذا المضمار. وأنا شخصياً، مع تقديري لكل الجهود في الترجمة العلمية الموضوعية، أؤمن أن طريق المستقبل لا يمر من خلال الترجمة، بل إن طريق المستقبل للأمة يمر من خلال الإبداع والابتكار، من جانب علمائنا، وأساتذتنا ليكونوا طرفاً متميزاً في حركة الإبداع العلمي، مع تدوين النتائج باللغة العربية. فإذا استطعنا أن ندخل دائرة الإبداع وأن ندوّن هذا الإبداع بلغتنا، فإننا نكون قد سرنا على الدرب السليم، وأحب أن أشير هنا، من خلال تجربتي، كرئيس لتحرير مجلة دراسات في الجامعة الأردنية، أن المشاكل التي كنا نواجهها، تتمثل في أن البحوث المقدّمة إلينا، سواء باللغة العربية أو بالإنجليزية، كنا نضطر لإعادة تحريرها، وفي بعض الأحيان إعادة صياغتها وإعادة الطلب من صاحب البحث أن يقول لنا باللغة العامية، ماذا يريد أن يقول؟!

وإذا كان البحث العلمي موجهاً بالدرجة الأولى إلى الإنسان في وطننا، فإنه من غير المعقول، أن نقدم البحوث بغير اللغة العربية، وإلا يصبح السؤال التالي مبرراً ومسوغاً: لمن نكتب؟ هل نكتب لقارئنا ولإنساننا في بلدنا ولأمتنا، أو نكتب للغير والأغيار، وهم

قلّما يكترثون بما نكتب؟ وأشير هنا إلى تجربة كنت قد اتبعتها لإيجاد الحوافز للكتابة والنشر باللغة العربية، تتمثل في إعطاء الأولوية في النشر، للبحوث التي كانت تقدم باللغة العربية. إلا أن النتيجة، كانت محدودة، كما كانت إيجابية المردود، وبوجود أستاذنا الدكتور محمود السمرة، كنت قد اقترحت أثناء رئاسته للجامعة، أن يكون عدد من البحوث المعدة للترقية، أو الترقية الاستثنائية، مكتوباً ومنشوراً باللغة العربية في مجلة عربية، لا أن تكون مرفقة بترجمة لا يقرأها أحد.

سادساً: لقد تعرضت الأمة العربية تاريخياً وحاضراً، إلى محنة التجزئة السياسية، وعندما ننظر في الخطط الموضوعة سواء في الجامعات الأردنية أو في الجامعات العربية، نجد أن تاريخ العرب والمسلمين وتاريخ اللغة العربية وآدابها، يقدمان من منظور سلالي عائلي أو قطري، وأصبحنا نلاحظ مؤخراً، الدعوة المتزايدة للآداب القطرية. وتدعو الحاجة إلى إعادة تقديم الأدب العربي، بكل فنونه، من منظور الموضوع، وليس من المنظور القطري أو الإقليمي أو الحقبة الزمنية، وإلا سنبقى نقرأ نتفاً من مصر، ونتفاً من لبنان، ونقول هذا هو الأدب العربي، فالعملية تقتضي دراسة تاريخ نتاج الأمة من خلال وحدة الموضوع، على امتداد الوطن العربي.

سابعاً: ويأتي الآن دور الموضوع المهم، الذي آثرت تأجيله، وهو مدى قدرة الجامعات الأردنية على تدريس العلوم باللغة العربية، وأين تقع العقبات، وكيف نستطيع أن نميز بين ما نريد وما نستطيع؟!

يخيّل إليّ أن المفصل في هذه المعضلة، هو عضو هيئة التدريس ولست متأكداً شخصياً من قدرة عضو هيئة التدريس بشكل عام، على التعبير عن الموضوع بلغة عربية سليمة مفهومة. والسبب بجانب غياب التكوين اللغوي الجيد، أن عضو هيئة التدريس، يفكر مضطراً باللغات الأجنبية لأنه يكتب بها، أو يحاول أن يكتب بها، ويخيّل إلي أيضاً، أن اللغة المستخدمة في القاعة الصفية، هي مزيج من العامية، والمفردات السليمة، والتراكيب الأجنبية. وليست الدعوة للتعليم باللغة العربية مضمونة في غياب النص المؤلف باللغة العربية، الذي يكون من ثمار الباحث العربي، وكما ذكرت قبل قليل، فإن الإبداع ـ مرة أخرى ـ يمثل حلقة النور نحو حل هذه المعضلة.

وإذا ما درسنا المؤلفات، أو ما هو موجود باللغة العربية في مواد العلوم، نجد أنها تتسم بترجمات، وربما تلخيصات لمؤلفات قد استقرت باللغات الأوروبية. وبالتالي نحن بحاجة إلى مشاركة متكاملة، بين العلماء وبين المتخصصين في مجالات العلوم البحثية وغيرها، الذين يعرفون العربية معرفة الضالعين فيها، وليس الذين يعتمدون

القاموس للتفتيش عن المعنى المناظر.

والمحزن، من خلال التجربة، أن أعضاء هيئة التدريس قلّما يحيلون طلابهم إلى المجلات وإلى البحوث باللغة العربية، وإنما تجيء الإحالة والإشارة إلى البحوث باللغة الإنجليزية، وببعض اللغات الأوروبية. وبالتالي فإن هذه القضية الخطيرة والحساسة بحاجة إلى دراسة موضوعية هادئة وهادفة، بعيدة عن الشعارات وتغليب الأماني على الواقع، وربما ستؤدي مثل هذه الدراسة، إلى قيام دراسات عليا، على مستوى الماجستير والدكتوراه، وتجيء الرسائل الجامعية بالتالي باللغة العربية في الجامعات الأردنية، حتى لا يتعرض الموفد، وأستاذ المستقبل، إلى مثل هذه الثنائية في التعبير وفي التفكير.

وأخيراً، فإن هناك إقبالاً متزايداً على تعلم اللغة العربية من جانب أبناء الشعوب الإسلامية في مختلف الأقطار. ولا شك أنكم تعلمون بالمحاولات العديدة، لوضع نصوص لتعليم اللغة العربية، وإن مثل هذا الطلب يكبر يومياً، وبخاصة بعد إنشاء جامعة آل البيت، التي ترى أن من أهم أهدافها تعليم اللغة العربية لطلاب الجامعة، لا سيما أن عدداً من المؤسسات لدى الدول الأخرى، وتحديداً في إسرائيل، قد أصبحت تنافسنا في هذا المضمار.

أشكر لكم، للإخوة حسن الإصغاء، وما قصدت أن ألقي محاضرة، بل أن أقدم مجموعة أفكار طمعاً في فضل علمكم لإغنائها أو لتصويبها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الواقع: كما هو في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية.

أهمية اللغة: فلسفة وحضارة وواقعاً.

ـ الأسباب الرئيسة لقوة اللغة العربية.

ـ العقبات التي تواجه اللغة العربية.

ـ قضية التعريب الطبي وأهميتها.

ـ العقبات التي تعترض تعريب التعليم الطبي.

ـ استراتيجية التعريب الطبي في المجال العربي.

ـ استراتيجية قصيرة المدى للتعريب الطبي في الأردن.

الواقعُ في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية

عندما أتحدث عن واقع التدريس والتدريب كواقع في الوقت الحاضر في الجامعة التي أنتمي إليها لا أشير إلى استراتيجية متكاملة أو مخططات مستقبلية تعتمد على برامج وخطط، ودعوني أعترف أمامكم أن جل ما يسير في هذا المضمار إنما هو جهد فردي وبمبادرة شخصية، هناك محاضرات في العلوم الأساسية كالكيمياء والرياضيات والفيزياء تلقى باللغة العربية وبعضها خليط ما بين العربية والإنجليزية فقط.

هناك جهود فردية مبعثرة تهتم بعملية التعريب، وقد نقلت إلى العربية بعض أهم المراجع في العلوم والطب والهندسة، وهناك بعض الجهود لإخراج الكتب وتأليفها بالعربية، كما يشارك بعض أعضاء الهيئة التدريسية في تأليف بعض الكتب المنهجية في حقول الطب: مثل طب المجتمع والطب الشرعي والطب النفسي في اللغة العربية وبالاشتراك مع عدد من الأساتذة العرب، وتشرف منظمة الصحة العالمية على تنظيم هذه الجهود ودعمها .

وتطلب الجامعة أن تترجم رسائل الماجستير المكتوبة باللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. و قد قمنا بتقديم الدعم وتوفير الوسائل اللازمة مثل: أجهزة الحاسوب، القرطاسية، الطابعات وغيرها (عمادة البحث العلمي) وذلك بغرض عدم إثقال كاهل الطلبة في دفع أي مصاريف إضافية في سبيل القيام بهذا الجهد، ولغرض تسهيل أمر الترجمة وقد صدر هذا القرار بشكل تعليمات من مجلس العمداء.

أما الطلبة، وهم عماد العملية التعليمية وهدفها الرئيس فلا رأي لهم مع الأسف، مع أن العديد منهم يبدي رغبة في تلقي معلوماتهم باللغة العربية، ولم تجر أي دراسة

ميدانيـة لاستقصاء آراء الطلبة وردود فعلهم بصـورة عملية، كما لم يشاركـوا في إبداء الرأي في لغة الكتاب والمرجع.

وأرى أن هناك مجالاً لـدراسة هذا الـواقع في جامعاتنـا الأردنية ومشاركـة الطالب والمدرس في تقديـم التغذيـة الراجعة التـي أرى أنها ستكون على درجـة عاليـة في إغناء عملية التعريب وتصويبه ووضع الحلول العمليـة التي قد تواجهنا. أما اهتمام الأساتذة فعلى درجات من التفاوت وكما أشرت فلا بد من اشتراكهم في مثل هذه الدراسات لإغناء خططنا الاستراتيجية المستقبلية.

إن الصعوبات التي تواجه زملاءكم في جامعـة العلوم والتكنولوجيا الأردنية في أمور اللغة العربية لا تختلف كثيراً عما هـو عليه الحال في الجامعات الأردنية الأخرى، كما لا تختلف كثيراً عما هو عليه الحال في مختلف جامعات الوطن العربي.

سأحاول خلال الوقت المسموح به بهذه الندوة أن أركز على المواضيع التالية:

قضية التعـريب الطبي: نظراً لاهتمامـي الشخصي في هذا الموضوع والعقبـات التي تعترض التعليم الطبي، كما سأعمل على وضع تصـور لاستراتيجيـة التعريب في الـوطن العربي، كاستراتيجيـة منفصلة راعيت أن تكون سهلة، ممكنـة التطبيق، قليلة التكاليف ومقبولة لإمكان تطبيقها في الأردن.

كما أرجو الإشارة إلى أنني قد أفدت كثيراً من مطـالعة بعض المراجع المفيدة منذ بدء حـركات التعـريب في تونس عـام ١٩٨١ وحتى مـؤتمر دمشق عام ١٩٨٨ من خـلال مطالعة التوصيات المتكررة التي لم تر النور مع الأسف.

أيها السادة: إن اللغة وعاء العلم والمعرفـة ووسيلة التعليم وأداة التفاهم والتواصل بين الناس، هذا الاكتشاف الرائع الذي اهتدى إليه الإنسان منذ فجر التاريخ حتى وقتنا الحاضر إنما هو هبة من الله العلي القدير.

واللغـة العربيـة شأنها شأن كل لغة، كـائن حي ذو مشاعـر وأحاسيس فهي أكثـر لغات العالم قـوة ومرونة وفعالية، نظـراً لصمودها الدائم على مر العصـور ولاحتوائها على أي تطـور وتقنية، وهي إحـدى اللغات القـديمة البـاقية دون تغيير في قـواعدهـا أو نظامها أو إطارها التركيبي، نظراً لأنها موسوعية المعنى لا ينضب معينها.

اللغة العربيـة بالنسبة إلى الإنسان العـربي حياته ومستقبله: يتلقنهـا طفلاً فتخالط حسه وتميـز هويتـه، فهي قدرة لم يستثر فيهـا، إنها أداة التفكير والتعبير عن تأملات وجدانه وخلجات عواطفه، لا يؤثر فيها بعد ذلك تعلمه لغة أو أكثر من اللغات الأخرى.

إن اللغة إذا عزلت عن ركب الإنسانية المتطورة وما يدخل إلى بنيانها من الكم الهائل من العلوم المختلفة وحصرها في الأدب والشعر وما يتدلى على جوانبها من سفسطة في مجا لات متفرعة عنها أو ممتدة إليها، يبقيها لغة قاصرة عن المجتمع أو التأثير. وأحسن ما يصور هذا القصور اللغوي رسالة الكاتب العربي المصري أحمد حسن الزيات، إلى وزير المعارف حيث قال:

«إن الأدب العربي قاصر في بيانه لأنه مقطوع الصلة بحضارة العصر، فلا يستطيع أقدر كتابنا أن يتحدث عما يستعمل من ماعون أو أثاث ولا أن يصف باخرة أو طائرة استقلها، ومجمعنا اللغوي على ما نرى من نشاطه لن يقدم إلى الناس معجمه المنتظر إلا بعد جيل أو جيلين حيث يكون كل شيء في العالم قد تغير أو تطور، فيصبح هذا المعجم من حيث الجدة يومئذٍ كمعجم لسان العرب، اليوم والزمان يسرع والعالم كله يجد والساري على مركب العجز لا يلحق والبيان القاصر نصف الخرس، واللغة الناقصة ثلاثة أرباع الجهل. وما قلناه عن اللغة والأدب نقوله في العلم والفن فإن ما في اللغة العربية منهما لا يعدو في الغالب أن يكون ملخصات مجهولة النسب أو مقتبسات قليلة، وما دام الأمر كذلك فسيظل اللسان العربي والعقل العربي محصورين في حدود القرون الوسطى لا يواكبان الحياة ولا يسايران تقدم الفكر».

لقد أصبح تعريب (الطب) مثلاً في العالم العربي مناسبة لعقد المؤتمرات العكاظية وإلقاء المحاضرات، ثم الاكتفاء بإصدار القرارات. ومنها على سبيل المثال القول إن تنفيذ التعريب يمكن أن يتم بأحد أسلوبين: أسلوب الطفرة وأسلوب التدرج، وشرط أسلوب التدرج أن يكون وفق خطة مرسومة شريطة أن يلتزم بتنفيذها بدقة وأن يتعهد بإنجازها في مواعيدها.

أما إذا بقينا نراوح بين متى نبدأ وكيف نضع الخطة وكيف نعد العدة فسنبقى نشكل اللجان ونستنبط المصطلحات ونطبع القرارات.

أيها السادة: لقد سبقني إلى معالجة هذا الموضوع أعلام كثر لا أظن أني مستطيع مجاراتهم في تعمقهم اللغوي أو المهني، كما إنني لا أستطيع القول إني معالج له بموضوعية كاملة، وما جهدي هذا إلا محاولة متواضعة في سبيل هذا العمل النبيل.

١ ـ الأسباب الرئيسة لقوة اللغة العربية

أ ـ تمثل الوعاء الفكري للحضارة الإسلامية بكل معطياتها الإنسانية وبكل جذورها التاريخية.

ب ـ انفردت اللغة العربية بكونها لغة القرآن.

جـ ـ الجماليات الصوتية التي انفردت بها قامت أساساً وازدهرت على «السماع» أكثر من اعتمادها على «التدوين» ونجحت هذه الخاصية في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى من اللحن والضعف.

٢ ـ العقبات التي تواجه اللغة العربية

تواجه اللغة العربية وا قعاً مريراً اليوم، فهي محرومة من «الولاء» وأهم هذه العقبات:

أ ـ عوائق نابعة من اللغة العربية التي لها طبيعتها الخاصة في صرفها وقواعدها الكثيرة التي وضعها النحويون القدماء وسار عليها من جاء بعدهم.

ب ـ عوائق نابعة من القائمين بالتدريس.

جـ ـ عوائق نابعة من عدم التنسيق بين المؤسسات المهتمة باللغة العربية وبالتعريب وتبعثر الجهود وقلة الإمكانات.

د ـ عوائق نابعة من الحياة العامة: اللهجات المحلية المتعددة.

هـ ـ عوائق نابعة من الوضع الجغرافي والسياسي.

٣ ـ قضية التعريب الطبي وأهميتها بالنسبة إلى:

أ ـ الهيئات الطبية: أطباء، ممرضين...إلخ.

ب ـ المريض أو الذي يتلقى الخدمات الطبية.

جـ ـ المستشفيات والمراكز العلاجية.

العقبات التي تعترض التعليم الطبي:

١ ـ **المصطلح العلمي:** عدم توافر مصطلحات علمية باللغة العربية تكون واضحة وسهلة ومتفقاً عليها. ويمكن التغلب على هذه الصعوبة بالاستفادة من المعاجم العلمية العربية التي يمكن أن تكون دعامة قوية لبدء حركة التعريب، وإذا تعذر التعريب لمصطلح ما، فإنه يجوز استعمال المصطلحات العلمية بألفاظها الأجنبية حتى يتوافر المصطلح العربي المناسب.

٢ ـ **مشكلة أعضاء هيئة التدريس:** والحل الناجح هو اعتماد اللغة العربية لغة للتدريس والبحث على نطاق الوطن العربي لتحقيق الفائدة بين أصحاب الاختصاص الواحد.

٣ ـ **مشكلة الطالب الجامعي:** حيث يظن بعضهم أن فرص التحاقهم بالدراسات العليا خارج الوطن العربي ستضعف تدريجياً، إن الارتقاء بمستوى الطالب اللغوي والعلمي يتطلب العناية بتدريس اللغات الأجنبية طوال مدة الدراسة الجامعية وذلك لرصد المصطلحات الطبية ومتابعتها إلى جانب المصطلحات العربية ومتابعتها ضماناً لمواكبة التقدم العلمي.

٤ ـ **مشكلة الكتاب الجامعي:** حيث تعاني الكتب العربية نقصاً واضحاً في المراجع والكتب الطبية وفي جميع فروع المعرفة العلمية الأساسية.

وللتغلب على هذه المشكلة، فإنه يجب أن تتحدد احتياجات التطور العلمي والتقني حتى يمكن تلبيتها عن طريق الترجمة والتاليف باللغة العربية، لتكون المصادر في متناول الطلاب والباحثين وأساتذة الجامعة بصفة مستمرة، ولا بد من وجود المراكز العربية على النطاق القومي لتسهيل نشر هذه الكتب وتوزيعها وتحديثها وتوفيرها بأسعار مقبولة.

وهنا نقول: لا يمكن أن يؤجل التعريب إلى حين توافر ترجمة كاملة للإنتاج الطبي، فبالرغم من أهمية الترجمة إلا أن تعريب التعليم يمكن أن يستمر بدونها ولو مرحلياً.

٥ ـ **مشكلة عدم توافر المعلِّم الطبي باللغة العربية.**

استراتيجية التعريب الطبي في المجال العربي:

١ ـ وضع خطة شاملة للتاليف باللغة العربية في المجالات الطبية، تتحدد فيها الموضوعات ومستوى التاليف عن طريق التعاون والتنسيق مع متخصصين عرب لأداء هذه الرسالة.

٢ ـ وضع خطة شاملة لتعريب المصطلحات الطبية الأجنبية بالتعاون مع المنظمات والهيئات العربية المهتمة بهذا المجال (إصدار قواميس ومعاجم ودوريات....إلخ).

٣ ـ وضع خطة شاملة للتعريب لبعض أمهات الكتب الطبية الأجنبية وبخاصة الكتب الدراسية.

٤ ـ إصدار دائرة معارف طبية عربية تتصل بتاريخ الطب الإسلامي حتى عصرنا الحاضر.

٥ ـ وضع خطة للتقنيات التعليمية الطبية والنماذج والوسائل التعليمية المختلفة المستعملة في التعليم الطبي.

٦ ـ توفير المصادر المالية والميزانيات والمساهمات الخاصة بتنفيذ هذه الخطط في شكل برامج تنفيذية واقعية ودقيقة وبمساعدة الوزارات والهيئات المختصة.

استراتيجية قصيرة المدى للتعريب الطبي في الأردن.

أقترح اعتماد الاستراتيجية التالية وبمبادرة من كليات العلوم الصحية (الطب، وطب الأسنان، والصيدلة، والتمريض والعلوم الطبية المساندة) في الأردن:

أولاً: الالتزام بالمعجم الطبي الموحد الذي أصدرته منظمة الصحة العالمية.

ثانياً: الاستعانة بما هو متوافر من الكتب المترجمة.

ثالثاً: ترجمة المحاضرات من الكتب الرئيسة المعروفة في كل تخصص.

رابعاً: توفير الكتب العربية والإنجليزية في مكتباتنا لاستعمال الأستاذ والطالب.

خامساً: إعطاء الطالب المصطلح العربي والإنجليزي ومطالبته بهما في الامتحانات.

البداية:

يمكن البدء في العلوم الأساسية التالية:

الكيمياء والأحياء ووظائف الأعضاء والتشريح وعلم الأمراض والأحياء الطبية الدقيقة والطب النفسي وطب المجتمع.

الصعوبات:

١ ـ **المصطلح:** استعمال المصطلح المعتمد عربياً مكان المصطلح المعتمد أجنبياً لإمكان استعمال التعبير الأجنبي كما هو بالعربية وكما يحدث في بعض الأحيان.

٢ ـ **الكتاب الطبي:** استعمال المتوافر والبدء بحركة دائبة مستمرة وبالتنسيق مع منظمة الصحة العالمية والمراكز العربية لترجمة أمهات الكتب الطبية ومن ثم تاليف الكتاب الطبي العربي.

٣ ـ **المجلة الطبية المعربة:** الدعوة إلى تقوية اللغة الأجنبية التي يمكن بوساطتها الاطلاع على المعلومات الطبية والتركيز على اللغة الإنجليزية. ويمكن اقتراح برنامج يمكن الطالب من أن يدرس ساعتين في الأسبوع باللغة الإنجليزية على مدى سنوات الدراسة جميعها، على أن يكون التدريس في السنتين الأولى والثانية لغة بحتة أما السنوات الأخيرة فتكون لغة إنجليزية خاصة، من

أهدافها:

* أن يكون الطالب متمكناً من قواعد اللغة الإنجليزية.
* مستطيعاً فهم أي نص طبي باللغة الإنجليزية.
* متمكناً من قراءة مقال في مجلة طبية ومستطيعاً فهمه ونقده.
* متمكناً من ترجمة أي نص من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس .
* قادراً على كتابة مقال طبي باللغة الإنجليزية.

وأخيراً أرجو الله أن أكون قد وفقت في توضيح وجهة نظري في هذا الموضوع الحضاري المهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أولاً: الصورة العامة

تمهيـــد

● ربط هذا الموضوع بالصورة العامة في الجامعات:

- الجامعات الأردنيـة لا تشجع الإبداع والابتكار لأسباب كثيرة منهـا إدارية ومنها مادية. وهذا الموضوع بحاجة إلى إبداع وابتكار.

- عمليـة التغيير الأكاديمي لا تمس الجوهـر، وهناك تغييرات كثيرة ولكنهـا لا تتميز بالبحث عن الإبداع.

- هنـالك مسؤوليـة كبيرة على عاتق نظـام التعليم العام، ولكن جهـود الجامعات لم تستطع مواجهة مشكلة الضعف في اللغة العربية.

- مشكلـة اللغة العـربية في الجامعـات قديمـة قدم الجامعات الأردنيـة، فهي ليست جديدة، ومع ذلك لم يحصل تقدم في الموضوع.

- عنـدما نتكلم عن مشكلة اللغـة العربيـة في الجامعات فإننا لا بـد أن نشمل أعضاء الهيئة التدريسية والطلبـة على حد سواء، فالغيور على اللغة العـربية يلاحظ أن هنالك نسبة كبيرة من أعضاء الهيئة التدريسية الذين يجهلون أبسط قواعد اللغة ولا يكتبون بلغة سليمة. وهم بحاجة إلى تدريب جديد في الكتابة واللغة السليمة.

ثانياً: تشخيص الظاهرة: الواقع

- المناهج المتبعة لرفع مستوى اللغة العربية لدى الطلبة عاجزة عن تشخيص الظاهرة، ومن ثَمَّ، وضع الحلول المناسبة لها.

- مـا زالت تلك المناهج تـركز على تـدريس موضوعـات قواعـد اللغة العـربية، وهي الموضوعات التي تعطى أثناء الدراسة للتوجيهية.

- من ملاحظـات أداء الطلبـة نستنتج أنه لا يـوجـد تحسن ملحوظ على مهـاراتهم اللغوية.

- يعامل الطلبة كأنهم من سوية واحدة في اللغة العربية، مع أن هنالك تفاوتاً ملحوظاً في مستوياتهم.

- على الـرغم من أن ضعف الطلبة في قواعـد اللغة العربية أمـر ظاهر، وبخـاصـة في جانب النحو، فإن المشكلة أوسع من أخطاء النحو والصرف.

ـ في رأينا أن المجالات التي يبرز فيها ضعف الطلبة هي الآتية:

١ ـ الكتابة باللغة الصحيحة.

٢ ـ التعبير عن وجهة النظر بلغة سليمة ومنطق سليم.

٣ ـ أخطاء النحو والصرف.

٤ ـ أخطاء الترقيم (النقاط والفواصل).

ثالثاً: الطموحات:

أ ـ الأهداف

بدلاً من أن نركز على الجزئيات الصغيرة (مثل قواعد اللغة العربية)، يجب أن نركز على المخرجات أو النواتج الأدائية التي نريدها من خريج الجامعة، على أن تكون الجزئيات ضمن الأهداف الكلية. وأستطيع أن أحدد النواتج والأهداف المتوخاة بما يلي:

١ ـ القدرة على الكتابة بلغة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية ومن أخطاء الترقيم (النقاط والفواصل).

٢ ـ القدرة على تقديم موضوعات معينة والتحدث عنها شفهياً لجمهور صغير بلغة سليمة ومنطق سليم وضمن وقت محدد.

٣ ـ القدرة على تلخيص الأفكار واختصارها مع المحافظة على المعاني الرئيسية التي قصدها الكاتب الأصلي.

٤ ـ القدرة على المحادثة مع الآخرين بلغة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية.

ب ـ طرق التدريب

إذا قبلنا بالأهداف المذكورة آنفاً أدركنا على الفور عدم الملاءمة بين الأهداف وطرق التدريس المتبعة حالياً، والمقررات التي تعطى للطلبة، وطرق تقويم الطلبة الذين يدرسون اللغة العربية (غير متخصصين فيها).

وأستطيع أن ألخص معالم المنهج المطلوب والأساليب والطرق المرتبطة به بما يأتي:

١ ـ يحدد مستوى الطالب في اللغة العربية عند دخول الجامعة ويقرر له المساق المناسب، وتراعى الفروق الفردية بهذه الطريقة.

٢ ـ وحدات الدراسة: تقسم أسابيع الفصل الدراسي على الموضوعات التالية: الكتابة والخطابة وإلقاء الأحاديث (تقديم الموضوعات)، والتلخيص والمحادثة.

٣ ـ المقررات: يعطى الطلبة قراءات في النحو والصرف والتشكيل وخصائص الكتابة السليمة والتحدث والمحادثة والتلخيص كادلة إرشادية يرجع إليها الطالب باستمرار بالاعتماد على نفسه وبأقل درجة ممكنة من توجيه المدرس.

٤ ـ تصرف جهود الطلبة في محاولات الكتابة والحديث والمحادثة في موضوعات متعددة. ومن خلال ذلك يكتشف المدرس أخطاء كل طالب ويوجهه لأخطائه، فتتحقق الأهداف الكلية والجزئية في آن واحد.

٥ ـ طريقة اختبار الطلبة وتقويمهم يجب أن تتغير تبعاً لتغير الأهداف والمقررات وطرق التدريس كما أسلفنا.